٥٧٧

577

HARLEQUIN

دار م. النحاس

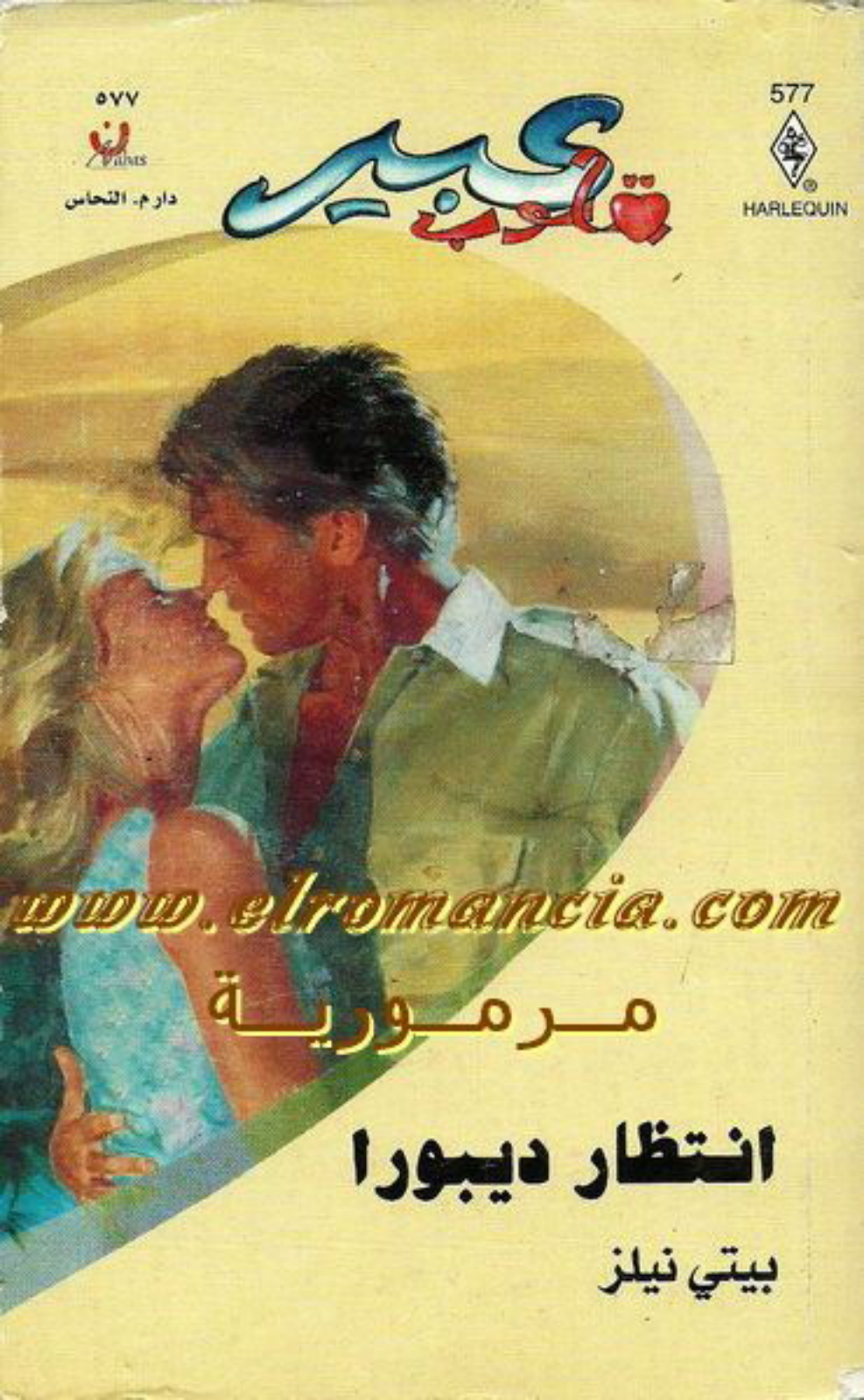

www.elromancia.com

مرمورية

انتظار ديبورا

بيتي نيلز

انتظار ديبورا

بيتي نيلز

كانت ديبورا تعلم انها ليست بفاتنة، حتى لو ملكت كل الوقت والمال في العالم بأسره. فلا شيء يستطيع تغيير الحقيقة انها ضعيفة وحمراء الشعر. لذلك كان من الصعب ان تصدق ان الطبيب المشهور والجذاب السيد جيمس مارلو لا ينظر اليها الا كفتاة ليس لها حظ يحاول ان ينقذها وليس كإمرأة يحبها. لكنه لا بد ان يشعر بشيء تجاهها. والا لماذا كان يبقى موجوداً امام عتبة بابها؟

www.liilas.com

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

«سوف تكونين زوجة طبيب ممتازة.»

احمر وجهها خجلاً، الطبيب رايت شاب وسيم ولقد احمر وجه ديبورا مرتين لدى ذكر اسمه. لم يدرك السيد جيمس لما شعر فجأة بحزن غامض. اما بالنسبة لديبورا، فالاضطراب الذي شعرت به لم يكن بسبب الطبيب رايت. لقد اكتشفت فجأة انها ان كانت ستصبح زوجة طبيب فهي تريد ان يكون السيد جيمس مارلو ذلك الطبيب فقط. للحظة لاشيء ولاأحد سيدرك كم تمنت تلك الحقيقة المثيرة قبل ان تبعدها عن مخيلتها وكأنها حمل ثقيل.

بيتي نيلز

كانت بيتي تعيش في ديفونشاير قبل ان تدرس مهنة التمريض.

وقد عملت بشهادتها خلال الحرب قبل ان تتزوج وتعيش في هولندا مدة خمسة عشر سنة. والآن تعيش مع زوجها وابنتها وابنها في دورست. من هواياتها بالاضافة الى الكتابة، المطالعة وتربية الحيوانات.

٥٧٧

khouloub Abir 577

انتظار ديبورا

بيتي نيلز

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الاول

كان الرجل الواقف امام المدفأة الفارغة قصيراً ممتلىء الجسم ذو وجه صغير وشعرٌ بني يغطي جبهته. كان يرتدي بدلة مخططة وقميصاً ملونة مع ربطة عنق داكنة اللون، ويبدو انه سعيد بمظهره وبملابسه المزخرفة. وعندما تكلم كان كلامه لايناسب ابداً عمره ولامظهره.

كان هناك شخصان آخرين في الغرفة، امرأة شابة، ترتدي ثياباً انيقة لكنها تضع مكياجاً فاضحاً، كما ان شعرها الاسود مصفف بعناية حول وجهها وعينيها .وفتاة أخرى، اصغر منها، تجلس على كرسي صغير بجانب النافذة. وعلى عكس رفيقتها، كان شعرها احمر وناعم قد ربطته بعقدة وراء رقبتها. لم تكن ترغب في الكلام كما وانها ضعيفة جداً. فقط عينيها، عندما تنظر ناحية الرجل، كانتا جميلتين، لونهما ازرق صافٍ وواسعتان، كانت تجلس مرتبكة، يداها في حضنها، وهي تصغي الى الرجل وهو يتكلم.

«من المؤكد انني سأبيع هذا البيت والمفروشات. قد يكون علَي الانتظار من اجل الحصول على المال لكنني أملك شقة، كذلك انت، بربارا، لديك شقتك.»

قالت الفتاة ذات الشعر الاحمر: «لكن انا لاأملك شقة.» نظر الاثنان إليها وقالا: «والدنا كان رحوماً ليدعك تعيشين هنا براحة معه عندما كان وحيداً. وهذا كرم كبير منه طالما انت لست من اقاربنا...»

«لقد تزوج أمي.»

قال اخوها الذي هو ابن زوج امها:«ومنذ وفاتها وهو يؤمن لك منزلاً... منزلاً مريحاً جداً... فقد عشت هنا على راحتك، ديبورا، واعتقد انني غير مدين لك بشيء.»

قالت بصوت هادىء:«نعم، حسناً... اعتقد انك تفكر هكذا، فأنت وبربارا لم تحباني يوماً.»

قالت بربارا بضيق:«حسناً، ليس من داعٍ لتعتمدي على شفقتنا، لديك الكثير من الخبرة في التدبير المنزلي، فلما لاتحصلين على وظيفة كمربية اطفال، اي شيء. بكل الاحوال، هذا الحديث ممل. والتر، سأترك الامر كله لك فقط اعطني حصتي عندما تتخلص من هذا البيت.» نهضت بتأن وسارت نحو المرأة لتصفف شعرها.

«حسناً، قد يستغرق ذلك بعض الوقت. اعتقد ان بامكان ديبورا البقاء هنا والاهتمام بالمنزل حتى نتمكن من بيعه.» لم يسألها حتى ان كان هذا يناسبها بل تابع:«وسأرى ان كان لديك مال للأكل أو لأي شيء آخر.»

لحق بأخته حتى وصلا قرب الباب وقال:«لاتعتقدي انه يمكنك رمي اموالي كيفما تشائين. اريد حساباً لك قرش تصرفينه.»

قالت ديبورا بمنطق:«لن يكون هناك اي حساب، لأنني لا أملك اي مالٍ، فلقد اخذت دفتر الشيكات ماان توفي زوج أمي ومن المحتمل انك اخذت اي مال وجد في المنزل ايضاً.»

اصبح والتر منزعجاً وشرساً، قال:«لاتكوني وقحة، فأنت لاتعرفين شيئاً عن هذه الامور.» اخرج محفظته من

جيبه وعدّ بعض الاوراق النقدية، وقال:«ستحتاجين لقليل من المال، وهذا المبلغ سيكفيك لعدة اسابيع.»

دفع بربارا امامه من الغرفة واغلق الباب بعنف وراءه قبل ان يفتحه ثانية ليقول:«تذكري فقط ان هذا المنزل وكل مافيه هو لي الآن.»

جلست بهدوء حتى سمعت اغلاق الباب الخارجي بعنف... فبهذه الطريقة يعبر والتر عن انزعاجه. عندها نهضت، والتقطت المال ووضعته في حقيبة يدها ودخلت الى المطبخ لتحضر لنفسها الغداء. كانت تعيش بمفردها في البيت، بعد ان كان فيه طاه وخادمة عندما كان زوج أمها على قيد الحياة لكن والتر قد صرفهما مع راتب شهرٍ مقدماً ماان انتهت مراسيم الجنازة. فليس من داعٍ لبقاء اناس فقط لتأكل، هذا ماقاله لها. كما وانه لن يدفع لها المال عندما يبيع المنزل. ليس لها اي مكان تذهب اليه، ولاحتى اقارب، واصدقاؤها هم اصدقاء أمها في الواقع. كماوانها لم تعد تتصل بهم، لأن زوج أمها لم يكن يشجع اي علاقة اجتماعية لها. فوجودها في هذا المنزل، كما قال لها بصراحة، ان تهتم به.

تناولت ديبورا غداءها، اخذت حقيبتهاوخرجت من المنزل، سارت بفرح رغم الطقس البارد في شهر مارس. كانت المحطة لاتبتعد عن منزلها اكثر من عدة دقائق. لأن منزلها يقع على الطريق العام في هامبستد استمتعت كثيراً في سيرها، فلديها الكثير من المخططات والافكار المتشابكة. انها تشعر بالحرية، ولايهم كل الذي قاله والتر. ستجد عملاً بأسرع مايمكن وتترك له المنزل. يمكنها ايداع مفتاح المنزل مع وكيل البيع...

خرجت من باص النقل في شارع اوكسفورد، واشترت صحيفة المساء تطلعت باهتمام لعناوين وكلاء الاعمال. فكرت بما ستفعله، فاختارت عملاً، كمربية للأطفال مع اجر عالٍ، سارت باتجاه العنوان الذي احاطته بدائرة في الصحيفة.

زارت اربع وكالات للاعمال ووجدت ان الأجر مناسب جداً، قالت ديبورا لنفسها، وهي تصعد الى الباص لتعود الى هامبستد والى البيت الذي إعتبرته منزلها لسنين عدة.

حضرت الشاي والعشاء معاً فمازال الوقت باكراً، جلست في المطبخ، وهي تحمل قلماً وورقة أمامها، حاولت ان تفكر وتحلم وهي متفائلة. فلقد اعطت رقم هاتفها الى جميع الوكالات التي زارتها. وقالوا انهم سيتصلون بها ان وجدوا لها عملاً مناسباً. وفي الوقت الحاضر، عليها ان تحزم حقائبها، طالما لم تكن تفكر الا بهذا، والتنظيف ومسح الغبار من هذه الغرف الحزينة حتى تتمكن من مغادرتها. اغلقت الابواب باحكام وصعدت الى الطابق العلوي الى غرفتها وحضرت نفسها كي تنام. لايعجبها ابداً ان تنام بمفردها، لكن بما ان لاخيار لديها، حاولت ان تتجاهل الاصوات والضجة التي تسمع بها في الليل. لم تتوقع ان تسمع شيئاً في اليوم التالي لكن بعد مرور اربعة ايام انتابها القلق، خاصة ان رجلاً من وكالة البيع زار المنزل وقال لها انه سيتصل بشقيقها. وبدا لها ان والتر لن يمر وقت طويل حتى يأتي لزيارتها. اتصلت بوكالات العمل في اليوم الثاني ولم تلق اي جواب لدى ثلاث وكالات اما الوكالة الرابعة فطلبت منها ان تذهب الى المكتب لترى العرض المقدم والذي قد يناسبها.

لم يمض وقت حتى وجدت ديبورا نفسها في شارع اوكسفورد في الوكالة، وعلى بعد خمس دقائق منها سيراً. كانت تقف امام باب منزل عندما ربت على كتفها احد ما.

«ديبي... هذه انت ديبي؟ عزيزتي، لقد مر وقت طويل منذ رأيتك آخر مرة... لقد توفي زوج أمك منذ فترة قصيرة، اليس كذلك؟ منذ اسبوعين؟ هل تعيشين الآن مع شقيقك؟»

كانت المتكلمة امرأة كبيرة في السن، جميلة وترتدي ثياباً انيقة وتبتسم لها بحب وحنان.

«السيدة دكستر، كم يسعدني رؤيتك... لقد مر على ذلك سنوات...»

قالت المرأة: «اجل منذ سنوات، لابد من ان تتناولي معي الغداء لتخبريني كل مايحدث معك، لكن اولاً عليّ الذهاب لرؤية تلك المرأة المزعجة في الوكالة. لابد انك لازلت تتذكرين السيدة فرنون العجوز؟ كانت صديقة لوالدتك ولجدتك ايضاً. لقد تعرضت لأزمة صحية منذ اشهر وهي تعيش الان مع حفيدتها التي لم تعد تستطيع معاملتها وقد طلبت مني ان أجد لها شخصاً يعيش معها ويهتم بجدتها. كما انها قالت لي انها تريد من يعمل عندها في البيت. هناك خادمة في المنزل بكل الاحوال، كلارا... حفيدتها، قالت لي انها ليست بصحة جيدة هي ايضاً.»

تنهدت السيدة دكستر فقالت ديبورا على الفور: «سيدة دكستر، انني بحاجة للعمل، واكثر مما تعتقدين... هل استطيع قبول الوظيفة؟»

«انت؟ عزيزتي... لكن بالتأكيد... ألم يترك زوج أمك مالاً يؤمن لك عيشة لائقة؟» هزت ديبورا رأسها نافية،

تابعت:«وأخوك... لقد نسيت اسمه، لابد من وجود الكثير من المال؟»

«اعتقد انه يوجد الكثير، لكن والتر يريد تسوية كل الامور. فهو سيبيع المنزل... وانا مازلت فيه حتى اتمام معاملات البيع عندها يجب ان أجد عملاً. كل الذي فكرت فيه ان لاانتظر حتى ذلك الوقت لذلك قصدت عدة وكالات كي اعمل كمربية اطفال او اي شيء من هذا القبيل. فأنا مستعدة للإهتمام بالمنزل والاشراف على المرضى والعاجزين.»

لم تكن تتحدث بمرارة وهذا مادفع السيدة دكستر لتلمس ذراعها وتقول:«لديك اكثر بكثير مما تقولين، عزيزتي، واعتقد انك ستبلين حسناً عند السيدة فرنون، خاصة انها تعرفك وتعرف امك، سنذهب لنرى المرأة في الداخل وننهي الموضوع.»

صعدتا الدرج وعندما وصلتا الى الاعلى قالت السيدة دكستر:«لقد نسيت ان اخبرك، انها تعيش في داخل البلاد... في كونسولدس، هل تمانعين؟»

«أمانع؟ احب ذلك، وهكذا والتر لن يعرف مكاني...»

توقفت السيدة دكستر لتقول:«لديك اخت جميلة جداً ايضاً... جميلة جداً.»

«نعم، بربارا، لديها متجر للازياء في مكان ما قرب هارودس.»

قالت السيدة دكستر متعجبة:«وهي لاترغب في ان تعيشي معها؟»

قالت ديبورا ببرودة:«هي لاتحبني ايضاً.»

لم تقل السيدة دكستر شيئاً بل دخلت الى مكتب الوكالة،

حيث استقبلتهما امرأة قوية تجلس وراء مكتبها. قالت برضى:«لقد انتهى الامر، سأوصلك بنفسي الى مكان عملك بعد غد. ستكون كلارا سعيدة ومرتاحة. هل قلت لك كم ستتقاضين؟ لا؟» فكرت للحظة وذكرت المبلغ الذي جعل ديبورا، التي لاتملك مالاً خاصاً بها، تندهش من حصولها على عرض لايصدق. شربن القهوة وتودعن وكأنهن صديقات.

غادرت ديبوار مع السيدة دكستر لتشتري ماهي بحاجة اليه لعملها الجديد. اشترت ثياباً تناسب عاملة مع سيدة عجوز، وثياباً للنوم في حال اضطرت للعمل في الليل، كما اشترت احذية مريحة، فقد تجد الوقت كي تسير في الطبيعة طالما ستعمل في الريف. شعرت بالسعادة مما فعلته، عادت الى هامبستد، وبينما كانت تشرب الشاي اخذت تعد ماتبقى لها من مال. لم يبق لديها الكثير، لكنها لن تحتاج للمال لمدة اسبوع او اكثر. سيغضب والتر جداً عندما يكتشف انها استعملت ماله لشراء ثياب لها،لكن، لقد اعطاها هذا المال... ولأول مرة منذ سنوات صعدت الى غرفتها سعيدة.

امضت اليوم التالي توضب اغراضها وعملت جاهدة لتنظف وترتب المنزل. فكرت كثيراً بكتابة رسالة الى والتر لكن اخيراً توصلت الى كتابة ملاحظة صغيرة تخبره فيها انها وجدت عملاً، وانها ستترك المفتاح لدى وكيله للبيع. بالطبع، سيزعجه ذلك، لكن ممالاشك فيه لن يزعج نفسه بالبحث عنها. تركت الملاحظة على الطاولة وذهبت الى سريرها للمرة الاخيرة في ذلك البيت في تلك الغرفة ذات المفروشات القديمة حيث اعتبر زوج أمها انها مناسبة لها.

قبل ان تستلم للنوم تساءلت كيف ستكون غرفتها في منزل السيدة فرنون، نامت متفائلة جداً لما سيحدث معها في المستقبل.

في صباح اليوم التالي وصل سائق السيدة دكستر عند تمام الساعة التاسعة. جلست على المقعد بجانب صديقة أمها.

قالت:«هل السيدة فرنون هي عمة السيد فرنون؟»

«لا،لا... روبرت فرنون هو حفيدها. لديه هو وكلارا ثلاثة اطفال صبيان وبنت، واعتقد ان اعمارهم تتراوح بين العشر سنوات والرابعة عشرة سنة. وهم روبين، روث ولوريا. كما ان لكلارا حياة مليئة بالعمل والحياة الاجتماعية، فروبرت هو محام ناجح ولايبعد مكتبه كثيراً، انه في ايست ليش... وهو عبارة عن مكتب كبير على الطريق الرئيسية.»

«هل السيدة فرنون عاجزة كلياً؟»

«اعتقد ذلك. فمما قالته لي كلارا فهي تبقى في السرير. وان هناك ممرضة تزورها يومياً لكن كلارا وجدت من المستحيل عليها اخراجها من السرير تنفيذاً لطلب الطبيب.»

نظرت السيدة دكستر الى ديبورا بقلق وقالت:«اتمنى ان تكوني قوية كفاية لعملك هذا، ياعزيزتي.»

«لقد اعتنيت بأمي لمدة سنة تقريباً وعندما مرض زوج أمي اعتنيت به ايضاً.لقد كان مريضاً صعباً جداً.» قالت ديبورا ذلك بدون اي حقد، تذكرت تلك الليالي المزعجة والتذمر الدائم والعمل المستمر. لقد تحدثت مرة مع والتركي يحضر لها من يساعدها ولو لعدة ساعات في اليوم وقد

تلقت محاضرة طويلة عن عدم امتنانها. فماالذي تتوقعه؟ اليس لديها طباخ وخادمة للقيام بكل شيء عنها؟ اليست تحصل على الطعام والثياب مجاناً؟ اليس لديها سقفاً مريحاً مؤمناً لها.

استغرقت الرحلة اكثر من ساعتين ونصف منذ ان غادرتا المدينة. وما ان انعطفت السيارة نحو طريق ضيق في الريف حتى بدأت تنتابها الشكوك.

ماذا لو لم تحبها المرأة العجوز؟ او حتى حفيدتها؟ حسناً، لقد احرقت قارب النجاة الآن، ولامجال للعودة. شعرت بارتفاع في معنوياتها عندما سمعت السيدة دكستر تقول لها:«سيرحب بك هنا، عزيزتي، وانني متأكدة انك ستكونين سعيدة.»

سارت السيارة مسافة قصيرة لتتوقف امام منزل قديم لآل كوتس وايلد. حجارته من اللون الاصفر الجميل كذلك النوافذ تلمع بالانوار الجميلة. خرجت ديبورا من السيارة ونظرت حولها بفرح، كان هناك مرجة محاطة بالمنزل مليئة بأنواع الزهور. انها تبدو في النعيم مقابل بيتها في هامبستد.

بعد ان قرعت السيدة دكستر الباب، فتحت لها امرأة صغيرة وهي تبتسم وعيناها تلمعان، تمنت لهما صباحاً سعيداً بصوت ناعم وتنحت جانباً لتدخلا.

قالت لهما:«انتما السيدة دكستر والشابة الصغيرة، اليس كذلك؟ السيدة فرنون في غرفة الجلوس... من هنا.»

كانت القاعة انيقة ومرتبة كذلك الغرفة التي وصلتا اليها، والزهور تملأ المكان، اما المقاعد والوسائد عليها فقد

رتبت بعناية. كذلك المرأة التي اقتربت منهما لترحب بهما كانت جميلة وانيقة جداً. ترتدي تنورة ضيقة من التويد وقميصاً من الكشمير وتضع حلى وجواهر. كانت تبدو اصغر من عمرها، فوجهها مزين باتقان كذلك شعرها. كانت تبدو سيدة انيقة المظهر لكنها قبلت السيدة دكستر ببرودة.

قالت:«عمتي فيليس، لايمكن ان تدركي كم تسعدني رؤيتك!» نظرت الى ديبورا وتابعت:«وهذه هي الآنسة ايفرت؟»

ابتسمت لديبورا لكنها لم تصافحها كما ان عينيها الزرقاويين لم يحملا اية حرارة. شعرت ديبورا بأن قلبها يغوص في صدرها، لم تحبني، وقررت انها اخطأت عندما سمعتها تقول:«انه لأمر مريح جداً لي ان أجد من يساعدني على الاعتناء بعمتي. انه عمل صغير وستجدين متسعاً من الوقت لك، لكنني اعيش حياة عملية مع أولادي ولدي الكثير من الارتباطات الاجتماعية وسأعتمد عليك للإهتمام بها في كل الاوقات.» ابتسمت، لكن حتى هذه الابتسامة لم تصل الى عينيها، تابعت:«اتركي حاجتك هنا في المكتب وسنتناول الغداء، بعدها سآخذك لتتعرفي على عمتي.»

كانت غرفة الطعام قديمة الطراز كغرفة الجلوس. قدمت الخادمة طعام الغداء من لحم الخروف المشوي مع الخضار بعدها قدمت الفاكهة مع الكسترد، وكان الحديث بين السيدتين لطيفاً وودوداً، اهتمتا بلطف ان تشارك ديبورا بالحديث. بعد أن شربن القهوة في غرفة الطعام، قالت السيدة دكستر ان عليها الرحيل:«عليّ العودة الى المدينة في الوقت المحدد، سأتناول العشاء باكراً، لأنني ذاهبة الى

المسرح مع اصدقائي.» ابتسمت بحب الى ديبورا وقالت:«عزيزتي، انني متأكدة انك ستكونين سعيدة هنا... اكتبي لي واخبريني كيف تمضين ايامك، أيمكنك ذلك؟ انني سعيدة اننا تقابلنا بهذه المصادفة الغريبة.»

خرجت السيدة فرنون معها الى السيارة وبقيت ديبورا في القاعة. حملت حقيبتها الى الطابق العلوي واعتقدت انها ستذهب الى غرفتها كي ترتب ثيابها واغراضها الخاصة.

عادت السيدة فرنون الى المنزل، قوية كسيدة اعمال وقالت:«سنذهب الى عمتي الآن، يمكنك ترتيب ثيابك لاحقاً.»

صعدت ديبورا وراءها على الدرج المغطى بالسجاد، سارتا عبر ممر الى درج آخر خلف المنزل. كان السجاد السميك يغطي الارض، كذلك الستائر ذات اللون البيج تخفي جمال الريف تماماً. كان الممر ضيقاً ويتفرع منه عدة ابواب وفي آخره غرفة السيدة فرنون العجوز.

قالت لديبورا:«حسناً، هاهنا عملك.»

كانت الغرفة الواسعة، ذات سقف منخفض ومفروشات عادية. كان السرير بالقرب من النافذة، وتحت الاغطية، رأت إمرأة عجوز تنظر اليهما باهتمام.

قالت السيدة فرنون بصوت عالٍ:«عمتي آيما، هذه هي مرافقتك. تدعى ديبورا، ستقوم على الاعتناء بك ومساعدتك لتكوني مرتاحة. سأريها غرفتها الآن وبعدها ستعود اليك.»

اغمضت السيدة العجوز عينيها وقالت السيدة فرنون بعصبية:«بالطبع، نحن لسنا متأكدين ان كانت تفهم علينا ماالذي نقوله. والآن تعالي كي تشاهدي غرفتك.»

كانت غرفتها تبتعد عن غرفة المرأة العجوز قليلاً، وهي مجرد غرفة صغيرة ذات سرير ضيق. بجانب الحائط كما ان هناك طاولة صغيرة بالقرب من النافذة. وضوء صغير عليها. رأت الغرفة محبطة لها وصغيرة جداً، لكن ذكرت ديبورا نفسها انها لها وان لديها عمل، وان تمكنت من توفير المال قد تحصل على مستقبل افضل.

قالت السيدة فرنون بعدم اكتراث:«يمكنك ترتيب اغراضك لاحقاً، انزلي الى المطبخ عند الساعة الرابعة وستعطيك الطاهية صينية. عليك مساعدة عمتي آيما في تناول الشراب بعدها يمكنك تناول الشاي.»

سألتها ديبورا:«هل سأتناول وجبات الطعام هنا؟»

«انها لاتستيقظ باكراً، لذا، يمكنك النزول الى غرفة الطعام عند السابعة والنصف لتناول الفطور، كما سأطلب من فلوري، خادمة المنزل، ان تجلس مع عمتي آيما عندما تريدين تناول الغداء والعشاء. عليك ان تنظمي اوقات فراغك لكن لاتتوقعي انني سأترك لك الكثير من الوقت. فأنا مرهقة جداً بعد مرور اسابيع من الاهتمام بعمتي.»

«الا يمكن تركها بمفردها ابداً؟»

«اذا كانت نائمة فلاداع للبقاء بقربها، اعتقد، انك، ستكتشفين بنفسك ماهو مناسب لك.»

غادرت السيدة فرنون وعادت ديبورا الى الغرفة. كانت المرأة العجوز لاتزال نائمة. سارت نحو النافذة وابعدت الستائر فامتلأت الغرفة بنور الشمس. قالت ديبورا لنفسها:«قليل من الازهار، ومن المؤكد ان السيدة فرنون ستشعر بالراحة اكثر اذا وضعت لها وسادة أخرى.»

سارت الى السرير واخذت تنظر الى وجه السيدة فرنون العجوز. كان احد خديها منزلق قليلاً نتيجة الفالج. لابد انها كانت سيدة جميلة في شبابها فشعرها الابيض يغطي جبهتها. فتحت السيدة فرنون عينيها، واخذت تحدق بديبورا، التي امسكت بيدها بلطف وحنان.

قالت بصوتها الجميل:«مرحباً، انا ديبورا، وقد اتيت لأهتم بك. سأفعل ما بوسعي لأجعلك مرتاحة وانا متأكدة اننا سنتفق معاً. قالت حفيدتك انها ليست متأكدة ان كنت تفهمين عليها. اذا كنت تفهمين علي، هل يمكنك اغماض عينيك؟»

شعرت ديبورا بالفرح عندما اغمضت السيدة العجوز عينيها. قالت ديبورا:«آه، جيد، هذه بداية ممتازة. يمكنني ان أسألك عما تريدين ويمكنك الاجابة بإغماض عينيك. غمزة واحدة لنعم وغمزتين لتقولي لا.»

كان عملاً صغيراً لكنه ناجح. وخلال نصف ساعة كانت ديبورا قد غيرت وضع المريضة من جهة الى الاخرى ودخلت الى الغرف الاخرى لتحضر وسادة ناعمة لتريح رأس المرأة عليها، احضرت وعاء ماء من الحمام وغسلت وجهها ويديها.

حدقت المرأة بها وحاولت التكلم بتمتمة بعض الاحرف لكن بدون اي صوت، وضعت ديبورا كرسي بقربها جلست عليها وأمسكت بيدها ثم قالت:«اسمعي، انا لااعلم الكثير عن وضعك الصحي، لكنني متأكدة انه بإمكانك التحرك والتكلم ثانية. لكن عليك الانتظار كي تصبحين افضل حالاً. سأقوم بكل مايمكنني لمساعدتك. سنعمل على نظام خاص بك وننفذه بحذافيره.»

شعرت بالتأثر من الغمزة المساعدة كجواب لها.

بينما كانت السيدة فرنون نائمة تمكنت ديبورا من توضيب اغراضها وبعدها نزلت الى المطبخ لتحضر الصينية. نزلت على ذات الدرج الذي صعدت عليه، وماان وصلت الى الدرجة الاخيرة حتى خرجت السيدة فرنون من غرفة الجلوس مع امرأة اخرى وهي تضحك وتتكلم. توقفت عندما رأت ديبورا وقالت بحدة:«يمكنك ان تستعملي الدرج الخلفي، ديبورا، لكن بما انك هنا، ادخلي من باب غرفة التسلية.» اشارت باتجاه الباب وعادت هي ورفيقتها الى غرفة الجلوس.

كان المطبخ واسعاً ومريحاً شعرت بالراحة والسعادة، عندماسمعت صوتاً ناعماً يقول:«هل اتيت من أجل احضار صينيتك، عزيزتي؟ لقد حضرتها لك، هناك شراب خاص للسيدة فرنون وابريق من الحليب الساخن وابريق من الشاي لك مع السندويشات والحلوى، واذا هناك شيء آخر تريدينه فقط اسالييني او اسألي الطاهية. اننا سعداء جداً بقدومك لأننا كنا مرهقتين منذ مرض السيدة الكبيرة، ولقد قلنا للسيدة فرنون الشابة، ان عليك احضار مساعدة للسيدة الكبيرة او أننا سنقدم استقالتنا.» اضافت بعطف وبحزن:«ستجدين الكثير من العمل هنا، انستي، انا والطاهية سنأخذ ساعة من الوقت مكانك وهكذا تتمكنين من تنشق الهواء قليلاً.»

«انتما لطيفتان حقاً، لم اكن اعلم انكما تعتنيان بالسيدة المريضة، كنت اعتقد ان السيدة فرنون من كانت تتولى ذلك.»

«عزيزتي، لم تقترب يوماً منها، فقط عندما يأتي الطبيب.

كان من الافضل لها ان تبقى في المستشفى لكنهم يريدون ابقاءها تحت نظرهم كي لاتوقع لأحد شيئاً من مالها.»

احضرت الشاي ووضعته على الصينية. وقالت:«ليس من المفروض ان اقول لك كل هذا الكلام، خاصة انك وصلت للتو لكن من المناسب ان تعرفي كيف تسير الامور هنا.»

قالت ديبورا:«لطف منك اخباري، سأعمل جاهدة للاهتمام بالسيدة الكبيرة.»

حملت الصينية الى الطابق العلوي. وقدمت الحليب الى السيدة فرنون، ببطء وعناية وبعدها جلست بالقرب من السرير، وتناولت الشاي. عادت السيدة الى النوم فأخذت تفكر بما سمعته من السيدة دودد... كانت صورة مختلفة تماماً عما قالته لها السيدة دكستر لكن من المؤكد ان السيدة لاتعرف تماماً الذي يجري هنا. كما ان عملها هنا ليس تماماً كما وصفته لها. فهي مليئة بالطموح كي تصبح السيدة المريضة افضل مع انها لاتعرف كيف. كل الذي تعرفه ان الناس عادة تشفى من هذه الازمات الصحية ببطء اذا كان المرض عادياً. ستأتي الممرضة لرؤيتها وعندها ستتمكن من معرفة كل ماتريده من معلومات عنها. انهت ديبورا شرب الشاي واكلت كل ماعلى الصينية واعادتها الى المطبخ.

عندما استراحت في سريرها اخيراً كانت متعبة جداً. كانت السيدة العجوز ثقيلة الوزن وعلمت ان عليها العمل بمفردها، وهذا يعني ان تحركها في السرير بينما تعمل على ترتيبه وتنظيفها، ورفعها على الوسائد واطعامها. فكرت كثيراً قبل ان تنام، فالعمل هو تماماً كما توقعته، لكن لايهم، ان لديها عمل الآن واصبحت حرة...

نهضت باكراً وبما ان السيدة العجوز مازالت نائمة استحمت وارتدت ثيابها ونزلت على الدرج الخلفي الى المطبخ. كانت السيدة دودد هناك حيتها بلطف وقدمت لها فنجاناً من الشاي.

قالت:«ان كنت لاتمانعين تعالي بعد نصف ساعة وستجدين فطورك حاضراً. لاتمانعين من تناوله هنا؟ فالسيدة تتناول فطورها في السرير كما ان السيد يرغب في البقاء بمفرده...»

اخبرتها ديبورا ان لامانع لديها لذلك تابعت السيدة دودد:«عليك استحمام السيدة فرنون عند الساعة العاشرة لأن الطبيب يزورها مرتين في الاسبوع، اليوم ونهار الجمعة... فقط يلقي نظرة عليها ويتحدث مع السيدة.»

استيقظت السيدة العجوز عندما وصلت ديبورا اليها، فعملت على ان تستحم وترتب لها شعرها وان تدعها تجلس براحة. بعدها قدمت لها شراباً مغذياً خاصاً بها. شربت كثيراً فأضافت لها ديبورا القليل من الماء، بعدها فكرت، اذا بإمكان السيدة فرنون ان تبتلع الماء فبإمكانها ان تشرب عصير الفاكهة او حتى الحساء؟

بينما كانت تتناول فطورها اثارت الموضوع مع الطاهية فقالت لها:«حسناً، لا ارى سبباً يمنعك من اعطائها ماتفكرين به. لقد قال الطبيب «السوائل.» وهذه كلها من السوائل، اليس كذلك؟» اشارت بيدها الى خزانة كبيرة بجانب الحائط وتابعت:«يمكنك ايجاد كل ما تطلبينه هناك ولاحاجة لك للسؤال.»

وهكذا صعدت ديبورا الى غرفة السيدة فرنون العجوز وهي تحمل معها صينية عليهاابريق من الشاي الخفيف وابريق آخر من عصير الليمون. تمنت انها تقوم بما يناسب السيدة لكنها لم تجد سبباً يمنعها من ذلك كما وان الطبيب سيحضر لاحقاً وبإمكانها ان تسأله، وتعلم ماهي الخطوات المقبلة التي يمكنها القيام بها لمساعدة مريضتها.

شربت السيدة الشاي بفرح كبير، وعلمت ذلك من خلال الغمزات المتتالية التي كانت ترميها بها المريضة. اعادت ديبورا الصينية الى المطبخ وابقت ابريق العصير في الغرفة، واخذت تحضر المريضة، لم يكن للسيدة فرنون القدرة على مساعدتها، فعملت جاهدة حتى تمكنت من جعل مريضتها مرتاحة.

كان الطبيب بانسون مخيباً لآمالها، دخل الغرفة بصحبة السيدة فرنون الشابة. حيّا ديبورا بانحناءة من رأسه ونظر الى مريضته.

قال بفرح:«تبدين مرتاحة جداً، لنأمل ان هذه الفتاة الشابة ستهتم بها كما كنت تفعلين، عزيزتي. اتمنى ان لاتكوني ارهقت نفسك، عليك اخذ الامور بروية اكثر.»

كانت ديبورا تقف بجانب السرير، ولاحظت كيف ان عيني المريضة قد امتلأتا بالغضب. كان هناك شيء يزعجها وهي لاتدري ماهو. لن تجد فائدة من طلب نصيحة الطبيب بانسون. فهو لم يتكلم معها مطلقاً، يقدم كل تعليماته الى السيدة فرنون، لكنها شعرت بالراحة عندما سمعته يقول انه طالما، يجدها قلقة على صحة عمتها قرر ان يحضر معه اختصاصي ليعاني السيدة العجوز.

قال واعداً:«سأحضره معي نهار الجمعة، انه من اشهر الاطباء في العالم.»

انحنى نحو مريضته وقال بصوت عال:«انك تتحسنين باستمرار، لكن علينا الانتظار بعد.» ربت على يدها، انحنى قليلاً ثانية لديبورا وغادر مع السيدة فرنون.

اسرعت ديبورا لتملأ كوباً من العصير، الراحة مفيدة جداً لكن قليلاً من الغذاء لايضر. شعرت بقلبها يعتصر عندما لمحت الدموع في عيني السيدة، وضعت ذراعها حول رأس السيدة ورفعته قليلاً وقالت:«ستصبحين بصحة افضل، انني متأكدة من ذلك، ستتناولين سوائل مغذية كما سأعمل على تمسيد ذراعيك ورجليك وبذلك عندما تتحركين لن تشعري بالتعب. انا لست ممرضة لكن اذا وثقت بي سأعمل ما بوسعي لتصبحين افضل. لكن لاتفقدي الامل، لأن ذلك سيصيبنا معاً.»

حضرت فلوري بعد قليل كي تتمكن ديبورا من النزول لتناول الغداء. تفاجأت كثيراً عندما علمت انها ستتناول الغداء مع السيدة فرنون، لكن ذلك يبدو انها تريد ان تعلمها بما ترغب به.

«عادة يمكنك تناول الغداء والعشاء في الغرفة الخلفية من المنزل. يمكنك تناول الشاي في غرفتك سيبقى احد مع عمتي كل يوم بعد الظهر لمدة ساعة تقريباً. في القرية دكان اذا كنت تحتاجين الى شيء قد تستطيع تأمين نصف نهار كعطلة لك... هناك باص للنقل الى ليشلاد مرتين في الاسبوع. ان عملك سهل جداً وليس هناك غير الاهتمام بعمتي. انها بحاجة لقليل من الوقت ولاشهية لديها للأكل.»

تمتمت ديبورا بتهذيب، ولم تصدق كلمة واحدة مما سمعته.

سارت الى القرية وعادت بينما كانت السيدة دودد تجلس مع المريضة، كان الطقس ربيعياً وشعرت بالفرح من السير في الهواء الطلق. أمر جميل ان يجد المرء هدفاً نبيلاً يسعى اليه، وكم سيكون الامر رائعاً لو تتحسن السيدة فرنون قليلاً... تتحسن لتجلس على كرسي وان تأكل شيئاً او تستقبل بعض الزوار. عادت ديبورا الى تلك الغرفة الداكنة وهي تحمل بعض الازهار التي قطفتها في نزهتها وبما انها لم تر احداً ينظر اليها قطفت بعض الازهار من الحديقة ايضاً.

رأت المريضة الازهار ولمعت عيناها فرحاً. وضعتهم ديبورا بمكان تستطيع المرأة العجوز ان تراهم دائماً وذهبت تحضر الشاي. مرّ اليوم التالي بدون اي زيارة من ابنة اخ المريضة وكذلك اليوم الذي تلاه، لكن صباح يوم الجمعة تفاجأت ديبورا من رؤية السيدة فرنون تدخل الى الغرفة.

قالت لديبورا بعد تحية باردة جداً:«تأكدي ان عمتي نظيفة جداً، سيأتي الطبيب بانسون عند الحادية عشر والنصف مع ذلك الاختصاصي. رتبي الغرفة ايضاً وتذكري ان عليك البقاء صامتة بحضورهما، كما انه لاحاجة لك كي تجيبي على اي سؤال، لأنني سأكون معهما.»

غادرت ثانية لتترك ديبورا تنهي عملها حيث كانت تصفف شعر المريضة. ابتسمت للمرأة العجوز فابتسمت لها. قالت ديبورا بلطف:«يمكنك ان تسمعي، اليس كذلك؟» وعندما غمزتها بعينيها تابعت:«سأحاول ان ارى الطبيب الجديد الذي سيأتي ليراك، لم ادر بعد كيف لكن سأتدبر الامر...

انني متأكدة ان هناك اكثر مما نقوم به الآن. هل افعل ذلك؟»
غمزتها المرأة مجدداً.

سمعت صوت ضحكة السيدة فرنون قبل ان يفتح الباب ويدخلوا. كانت تتحدث بحماس للطبيب بانسون وتبتسم له وللرجل الذي برفقته. توقف عند الباب ونظر الى الغرفة الداكنة اللون والتي تفتقد للراحة. وصلت نظراته الى الزهور الجميلة واخيراً نظر الى ديبورا، رشيقة ونحيلة، شعرها الاحمر معقوص الى الوراء، ولونه يناسب تماماً الازهار في الغرفة.

اقترب من الطبيب بانسون ونظر الى السيدة المريضة، بعدها الى ديبورا.

قالت السيدة فرنون: «اه، هذه رفيقة عمتي، او يمكنني ان اقول ممرضتها؟ انها نعمة لي... فهذا عمل مرهق، كما تعلم.»

سار الاختصاصي عبر الغرفة ومدّ يده، قال وهو يبتسم: «لكنه عمل جدير بالاهتمام، انسة...؟»

«ايفرت، ديبورا ايفرت...»

قالت السيدة فرنون الشابة بسرعة: «هذا هو الطبيب جيمس مارلو يا ديبورا.»

مدّت ديبورا يدها لتلمس يده الكبيرة. كان رجل كالعملاق، اقرب الى الاربعين منه الى الثلاثين، فكرت، لكنه وسيم جداً، شعره مخطط بالشيب، وعيناه زرقاوان تحت رموش كثيفة. ابتسمت، فلقد وجدت شخصاً يمكنها ان تثق به...

الفصل الثاني

اكتشفت ديبورا بسرعة انها لن تحصل على فرصة لتقول اي شيء.

كانت السيدة فرنون تجيب بسرعة على كل اسئلة الطبيب جيمس. كانت تؤكد له بشوق، آه، نعم. فعمتها تتناول سوائل متنوعة كما انها قامت بنفسها بتمسيد رجليها كما علمتها الممرضة. اضافت: «انه عمل مرهق.» وكأنها تصور تماماً ما تبذله من جهد بذلك.

لم يقل السيد جيمس شيئاً، احنى رأسه مستمعاً واخيراً طلب أن يفحص مريضته. ابعدت السيدة فرنون ديبورا بحركة من يدها، فتراجعت بينما أخذت السيدة تمسك باغطية السرير وهي تقول: «بالطبع عمتي لن تفهم شيئاً، اليس كذلك؟ فمن المؤكد ان ليس هناك اي استجابة...»

لم يتكلم السيد جيمس، بل انحنى واخذ يفحص مريضته بعناية. وعندما اراد ان يفحص مريضته من الجانب الآخر ابتعدت السيدة كي تقترب ديبورا لتنقل السيدة. قالت السيدة فرنون: «لأنني، ببساطة لا املك القوة لذلك.» ربت الطبيب بانسون على يدها مشجعاً لكن السيد جيمس لم يبدِ اية ملاحظة. حاول أن يربت على قدم المريضة فلم يجد اية ردة فعل. أعادت ديبورا الغطاء على المريضة وامسكت بيدها برفق وعادت إلى مكانها.

وقف السيد جيمس مستقيماً، وقال بوضوح، وهو ينظر

إلى وجه المرأة العجوز: «لا أجد سبباً يمنع السيدة فرنون من أن تستعيد ثلثي قدرتها العادية. ربما علينا أن نتناقش بالذي سنفعله...»

قالت السيدة فرنون: «كم هذا رائع.» لكنها لم تكن تقصد شيئاً مما تقوله. نظر الطبيب بانسون مشككاً وقال: «هذا يعني انها ستخضع لعلاج ما، لكن السيدة فرنون لم تسمح لعمتها بالذهاب إلى المستشفى، فهنا تحصل على العناية المطلوبة.»

قال السيد جيمس: «ربما يمكننا التحدث عن الموضوع في الطابق الأسفل.» ابتسم لديبورا وغادر الغرفة.

اقتربت ديبورا من السرير وهمست في أذن المريضة: «إنه بجانبنا.» رأت غمزة عينيها فتابعت: «قال إنك ستصبحين أفضل، لقد سمعته، اليس كذلك؟ عليّ أن أراه... إذا بقي للغداء قد أتمكن من رؤيته عندما يغادر.»

كان الحظ، لمرة واحدة، إلى جانبها. أخبرتها الطاهية أن السيد جيمس سيتناول الغداء مع أن الطبيب بانسون سيغادر. وتابعت: «مع إنه قال ان عليه العودة إلى لندن بعد ظهر هذا اليوم. عليّ تحضير الغداء عند الساعة الواحدة تماماً وهكذا يمكنه المغادرة عند الساعة الثانية والنصف.»

كادت أن تخرج من المطبخ وهي تحمل الحساء للسيدة، عندما توقفت لتقول: «هل بإمكان فلوري، أن تصعد عند الثانية، بالتحديد... عندها سأعود باكراً كتعويض لها.»

قالت الطاهية: «لا تقلقي، آنستي. سأطلب منها ذلك، تعالي وتناولي غداءك حالما تستطيعين. سيعجب السيدة فرنون جداً الحساء... إن رائحته شهية.»

أخذت ديبورا تتحدث مع المريضة وهي تطعمها، وتضعان الخطط معاً لتنفيذها عندما تستطيع السيدة فرنون أن تقف على قدميها. قالت ديبورا: «ما تحتاجينه حقاً هو غرفة في الطابق الأرضي وبذلك أتمكن من وضعك في كرسي متحرك وأخذك في نزهة. لكن أولاً علينا أن نعمل على إخراجك من السرير...»

عندما انتهت نزلت كي تتناول غداءها، أخذت صينيتها ودخلت إلى الغرفة وأقفلت الباب بعناية كي لا تسمع صوت ضحكات السيدة فرنون. فهي لا تشعر بالحب نحوها. مهما يكن، هناك أمور أخرى عليها التفكير بها، اذا صعدت فلوري إليها عند الثانية تماماً يمكنها أن تخرج من المنزل بعد ذلك بقليل وبما أنه لا يوجد غير طريق واحد للقرية، فلا بد أن السيد جيمس سيسلكها. ستتعمد إنتظاره، هذا ما قررته، وهي تلتهم الطعام.

ما إن انتهت من ترتيب سرير السيدة فرنون حتى دخلت فلوري وجلست بجانب السرير لتقرأ الجريدة.

قالت ديبورا بصدق: «سأعود عند الثالثة والنصف، شكراً لك فلوري.»

سألت فلوري: «تريدين مقابلة حبيبك؟»

قالت ديبورا وكأنها تقول حقيقة واضحة: «بوجهي العادي هذا؟ لا يوجد لدي حبيب... ولم يكن لي أبداً، لم يتسن لي الوقت ولا الفرصة حتى.»

«حسناً، أنا لا أعتقد أبداً، يا آنسة، إن وجهك عادي، لكن إن صففت شعرك بطريقة مختلفة... إن لونه رائع وأنا متأكدة انك ستبدين رائعة إن فعلت.»

قالت ديبورا: «سأفكر بالأمر.» نظرت نظرة أخيرة إلى المريضة وأسرعت بالخروج من المنزل. لقد أضاعت ما يكفي من الوقت بالتكلم مع فلوري.

كان الطقس جميلاً في آخر شهر مارس، لكنها لم تهتم لكل الجمال الذي يحيط بها. أسرعت الخطى كي تقطع نصف الطريق أو على الأقل كي تبتعد مسافة كبيرة عن البيت. إذا كانت تتذكر لقد رأت خربة هناك. وكل ما عليها أن تفعله هو أن تستطيع إيقافه.

وصلت إلى المكان ووجدت انه مناسب تماماً لأن الطريق تتفرع عنده كما وانها تستطيع رؤيته قادماً. فلم يعد عليها سوى الإنتظار.

لم يكن الإنتظار طويلاً، رأت سيارته الرمادية تتجه نحوها بسرعة فقفزت إلى منتصف الطريق ومدّت ذراعها. وقفت السيارة الكبيرة على الفور بهدوء وفتح السيد جيمس الباب.

قال بفرح: «إصعدي، يمكننا التكلم بسهولة أكثر.»

انتظر حتى صعدت فاقترب منها وأغلق الباب.

«هل كنت تعلمين انني سأمر من هنا؟»

«بل توقعت رؤيتك هنا...»

«لماذا؟»

نظر إليها وتابع: «لديك وجه معبر، آنسة ايفرت. ما الذي يقلقك؟»

نظرت إلى وجهه قبل أن تجيب، لم يكن فقط رجلاً وسيماً، يبدو... بحثت عن الكلمة المناسبة... أميناً، كما وانه طبيب وبإمكان المرء أن يقول أي شيء إلى الأطباء وهم يصغون بإمعان ولا يقولون شيئاً لأحد...

«ليس لدي الكثير من الوقت وأعتقد أنت كذلك. لقد أتيت إلى هنا منذ أربعة أيام فقط وأنا لا أعرف شيئاً عن حالة السيدة فرنون. علمت انه يسمح لها بالسوائل وأن كل ما تحتاجه هو أن تبقى مرتاحة، لكنها لم تكن تأخذ إلا الحليب والماء... ولم تكن حتى نظيفة. كما وانني لم أستطع التكلم مع الطبيب بانسون بمفرده. بدأت أعطيها عصير الليمون والحساء والشاي الخفيف ولقد أعجبها ذلك... أعرف ذلك لأنها تغمز لي مرة عندما تريد الشيء ومرتين عندما ترفضه. لقد أدرتها في السرير لكن ألا يمكنني أن أمسد لها يديها ورجليها؟ تعلم، إنني أرغب في مساعدتها كي تصبح أفضل وأن لا تبقى مرمية في السرير. لكن ربما عليّ عدم القيام بأي شيء من هذا. إذن يمكنك إخباري بما عليّ القيام به ويمكنك أن تطلب من الطبيب بانسون أن يكتب لي عما ساطعمها؟»

تنهدت قبل أن تكمل: «أبدو وكأنني لصة، أليس كذلك؟ لكنني لا أرغب بهذا.»

ابتسم لها بلطف وقال: «لا، لا يمكن أن تكوني لصة لكن لماذا لم تسألي الطبيب بانسون عن كل ما قلته؟ إنه رجل لطيف جداً، كما وأنني...»

«آه، هذا ما يدعى ميثاق الشرف، أليس كذلك؟ سخافة مني ألا أفكر بذلك، لكن شكراً لإستماعك إلى كلامي وسأحاول أن أتكلم معه بمفرده.» وضعت يدها على مسكة الباب فاقترب منها ثانيةً وأمسك بيدها ووضعها في حضنها.

قال: «ليس بهذه السرعة. دعي الأمر لي، أيمكنك ذلك؟

وفي الوقت الحاضر لا شيء يمنع السيدة فرنون من تناول سوائل متنوعة، ما عدا القهوة، بالطبع... هل أنت معتادة على الإعتناء بالمرضى؟»

«لقد اعتنيت بأمي لمدة سنة قبل وفاتها بعدها اعتنيت بزوج أمي لمدة أكثر من سنتين.»

قال بصوت عادي: «أليس لديك عائلة؟»

«لا في الواقع... أخ وأخت من زوج أمي.»

هز رأسه وقال: «ليس هناك من سبب يعيق السيدة فرنون من أن تتحسن باضطراد. حاولي بكل الوسائل أن تمسدي لها يديها ورجليها. وتكلمي معها... أنت تفعلين ذلك، أليس كذلك؟ فعلى ما أعتقد سَمَعُها جيد.»

سمعت جملته الأخيرة وكأن لا رغبة لديه في إكمال الحديث فوضعت يدها على الباب مرة ثانية لكن قبل أن تتمكن من فتحه كان قد خرج من السيارة ودار حولها كي يفتح لها الباب. لم تتوقع منه ذلك، فاحمرت خجلاً.

بدا عليه انه يرغب في قول شيء ما، لكنه قال: «إفعلي تماماً ما يقوله لك الطبيب بانسون، يمكنك ذلك. والآن إلى اللقاء، آنسة ايفرت.»

أخذت تراقب السيارة حتى اختفت، بعدها استدارت وعادت إلى البيت. فكرت، انه من الصعب عليها رؤيته مجدداً، كذلك من الصعب عليها نسيانه، فهو ليس أجمل من رأت فقط. لكنه أصغى إليها وهذا شيء لم يفعله أحد منذ سنين.

قالت ديبورا لنفسها لأنه لا يوجد من تتكلم معه: «رجل جميل جداً، أحب كثيراً أن أقابله ثانيةً لكن بالطبع لن يحدث هذا.»

كانت فلوري لا تزال تقرأ عندما عادت ديبورا فقالت لها: «لقد كانت جيدة كالذهب، ونائمة كالطفل.»

لكن عندما اقتربت من السرير وجدت عيني المرأة مفتوحتين: «جيد، هل أنت مستيقظة منذ وقت طويل؟»

غمزت بعينيها فتابعت ديبورا: «إذن سنأخذ الشاي باكراً، يعجبك هذا؟ وسأخبرك ماذا حصل معي في النزهة...»

وبدأت تصف لها الأزهار المتفتحة والبنفسج التي رأتها، كذلك قطيع الغنم الذي مرت من أمامه في الحقول، كذلك الطيور والسنجاب والهرر الصغيرة قرب الأشجار، لكنها لم تقل ولا كلمة عن السيد جيمس.

مرت عدة أيام قبل أن يعود الطبيب بانسون إلى زيارة مريضته وهذه المرة تمنى لديبورا صباحاً سعيداً، قال لها: «لقد تلقيت رسالة من السيد جيمس، لقد أخبرت السيدة فرنون بمضمونها لكن بما أنك أنت من يهتم بمريضتي فمن الضروري أن أخبرك، انه يعتقد أن علينا أن نضيف لها كمية الأكل، كذلك أن نقدم لها الحساء الكثيف، والشاي الخفيف. كما أنه يقترح أننا ممكن أن نقدم لها الطعام المطهو بالحليب. تعلمين كيف نحضره؟»

بالطبع تعرف، فهي تتذكر كم كانت تعد من هذه الأطعمة لزوج أمها.

«كما أنه وافق معي أن تمسيد لطيف سيفيدها جداً. خمس دقائق كل يوم على المفاصل.»

قالت السيدة فرنون الشابة: «بالطبع لن يشفيها شيء من كل هذا. لكن قد يجعلها تشعر بارتياح أكبر، كما اعتقد.» اقتربت أكثر من عمتها التي كانت مستلقية وقد أغمضت عينيها.

تابعت بسرعة: «لا بد أنها ضعيفة جداً الآن، مسكينة تلك المرأة العجوز.» وابتسمت للطبيب بانسون بحزن.

قال لها: «لقد فعلت كل ما تقدرين عليه. وأنت متعبة جداً من جراء ذلك، أنت بحاجة لبضعة أسابيع من الراحة.» نظر إلى ديبورا وتابع: «أعتقد أن هذه السيدة الشابة... ديبورا؟ لديها القدرة لتحمل المسؤولية لوحدها لفترة قصيرة؟»

اعتبرت ديبورا، أن الطبيب بانسون والذي هو لطيف جداً مع مرضاه لا بد أنه يصدق تماماً السيدة بانسون. وربما السيد جيمس يشعر كذلك، لأن السيدة فرنون الأنيقة دائماً والتي تعرف كيف تتصرف بلياقة وذكاء...

تابع الطبيب مقاطعاً افكارها: «ما زال زوجك بعيداً؟ في لندن؟ ماذا تريدين أكثر من ذلك؟ أعطي لنفسك بعض الراحة، تمتعي قليلاً واذهبي إليه، أخرجي وافرحي، وبعدها ستعودين كما كنت.»

فكرت ديبورا، أن أية إمرأة، لا بد أن تشعر بالراحة والإنتعاش إن تنقلت بين المسارح والمطاعم وإن ذهبت للتسوق كما تفعل السيدة فرنون. تساءلت عن السيد فرنون، والذي يبقى في عمله. وتتكلم عنه زوجته وكأنه حبيبها المجهول.....

سمعت آخر الحديث الذي كانت تتفوه به السيدة فرنون: «أترك عمتي العزيزة بين أيدي الخدم... لن أغفر لنفسي أبداً إن حدث لها شيء وأنا بعيدة.»

«عزيزتي،قد تستمر عمتك هكذا لمدة طويلة، وعلى العكس قد تموت قريباً..إنها ضعيفة جداً كما ترين. حتى مع هذا الأكل الجديد الذي اقترحه الطبيب جيمس

والتدليك، قد لا تعني لها شيئاً إلا أن تقدم لها بعض الراحة.»

قالت السيدة فرنون بشوق: «هل تعتقد ذلك؟ ربما يمكنني الذهاب لمدة أسبوع أو أكثر. لكن افترض أنها ماتت بغيابي؟»

«عزيزتي السيدة فرنون، لا أحد سينتقد حبك وإخلاصك لعمتك، وبكل الأحوال، إنها لا تدرك شيئاً ولا تعرف أحداً.»

كانت ديبورا تقف في مكان تستطيع فيه رؤية وجه مريضتها. غمزت لها فاستجابت المريضة وغمزتها. فكادت ان تقول للطبيب ان مريضته تسمع كل كلمة يقولها. فتحت فمها لتتفوه بما تفكر به عندما رأت مريضتها تغمز لها غمزتين ونظرة افهمتها ان عليها ان لا تتفوه بكلمة.

غادر الطبيب والسيدة فرنون الغرفة فاقتربت ديبورا من سرير المريضة كي تتمكن من رؤيتها بوضوح.

قالت بلهجة واضحة ولطيفة: «لا يمكننا ان نطلب المزيد، سنحصل على فترة اسبوع او اكثر. سأقوم بتدليك يديك ورجليك وسأطعمك الحساء المكثف. فلا تبالي بما قالاه. انا اعلم انك ستصبحين افضل.» اضافت كي تتمكن من حسم المسألة: «هذا ما قاله لي الطبيب جيمس.»

لم تغادر السيدة فرنون بسرعة. بقيت تطل على عمتها كل صباح لتسأل عن صحتها وكانت ديبورا تقول لها ان السيدة فرنون قد امضت ليلاً هادئاً وتناولت طعامها كله. ما لم تخبرها اياه انها رأت احد اصبع قدميها يتحرك بينما كانت تغسل لها. لقد شعرت بالفرح وارادت اخبار احد ما، ومن الافضل ان تخبر الطبيب جيمس، لكن هذا مستحيل. عليها

اخبار الطبيب بانسون لكن بعد ان تتأكد انها لا تتخيل ذلك.

غادرت اخيراً السيدة فرنون، وقد استقلت سيارة أجرة محملة بأغراض تكفيها لشهر او اكثر مع انها قالت لديبورا انها لن تتغيب لأكثر من اسبوع او عشرة ايام. كما قالت لها ان لا تجبر عمتها على تناول طعامها قالت: «علينا ان ندع المرأة العجوز تموت بسلام. وعليك اعلامي ان شعرت انها ستفارق، كما ان الطبيب بانسون سيغيب لمدة اسبوع ايضاً، لكن لا اعتقد ان هناك من حاجة للاتصال بالطبيب. لكن في الحالات الطارئة يمكنك الاتصال بالطبيب فرغسون في لاشلايد وهو يعلم تماماً حالتها.» وبعد قليل تابعت: «سأدفع لك في آخر الشهر كباقي الخدم.»

رأت ديبورا انه ليس من داعٍ كي تجيب على كلامها الفظ والقاسي.

بقيت السيدة فرنون تتصل كل يوم عند المساء، لكن، كانت ديبورا تجيبها دائماً ان السيدة بخير، فقررت ان تتصل بين فترة وفترة

مرت اربعة ايام على مغادرة السيدة فرنون الشابة عندما تحركت قدم السيدة فرنون. راقبت ديبورا ذلك وحاولت جاهداً ان لا تتأثر.

قالت: «قدمك... تتحرك، هل يمكنك الاحساس بذلك؟ حقاً؟ آه، أمر رائع، سيدة فرنون. انظري سأدعك ترتاحين قليلاً وبعدها سأخبر الطبيب... وسيقول لي ما عليَّ فعله. الطبيب بانسون لا يزال غائباً لكنني سأتصل بالطبيب الآخر... سيرغب برؤيتك بالتأكيد.»

نزلت الى الطابق الاسفل واغلقت الباب في غرفة المكتبة

لتتصل بالطبيب فرغسون. «لم يكن هناك. كان يقوم بجولته خارج المستشفى، ولا احد يعلم متى سيعود.» هذا ما سمعته بضيق.

«هل لديه هاتف في السيارة؟ هل يمكنك الاتصال به من فضلك، انها حالة طارئة.»

قال الصوت: «هذا ما يقوله الجميع، انتظري قليلاً.»

بقيت ديبورا على الهاتف، وهي تضبط اعصابها حتى عاد الصوت: «ليقول ان لا احد يجيب. انه ليس في السيارة. ولا نعلم اين هو وانت تضيعين وقتك. اتصلي بطبيب آخر او اتصلي بالطوارىء.»

وضعت ديبورا الهاتف واخذت تفكر للحظة. تحتفظ السيدة فرنون في مكتبها بأوراق عدة، ربما قد تجد دليل هاتف هناك. وجدت العديد من الاوراق، الفواتير ووجدت دفتراً صغيراً عليه ارقام هواتف مبعثرة وجدت على ورقة اسم «السيد جيمس مارلو.»

لم تنتظر ديبورا، قررت ما الذي ستفعله اتصلت بالرقم وفجأة سمعت صوتاً يقول: «مكان إقامة السيد جيمس مارلو.»

«هل استطيع التحدث معه، من فضلك؟ انه امر مستعجل... اخبريه ان الاتصال من عند السيدة فرنون. قولي له ان الانسة ايفرت تتكلم..»

سمعت صوته الهادىء في اذنها: «آنسة ايفرت، بما استطيع ان اخدمك؟»

قالت بدون ان تفكر ان عليها التكلم بطريقة لائقة اكثر: «اسمع، حركت السيدة فرنون قدمها والطبيب بانسون ليس

هنا والطبيب الذي يجب ان اتصل به في جولته ولم استطع الاتصال به. فما الذي افعله؟»

«هل انت بمفردك في المنزل؟»

«لا، لا... السيدة دودد هنا وكذلك الطاهية. السيدة فرنون الشابة في لندن ولا ادري اين هي. قالت انها ستتصل، لكنها غادرت لأسبوع او اكثر لذلك اتوقع ان تتصل بنفسها.»

«عودي الى مريضتك، آنسة ايفرت. سأكون بقربك في اقل من ثلاث ساعات. لا تتأثري كثيراً بحالتها.»

قالت ديبورا بسرعة: «بالطبع انا متأثرة. ألا يمكن ان تكون هكذا اذا كنت تستطيع التحرك بعد شلل طويل؟»

تعليق سخيف او بالاحرى وقح لكنه قال: «الى اللقاء، آنسة ايفرت.»

لم يكن لديها الوقت لتشعر بالاحراج الآن، عادت الى السيدة فرنون، حاولت ان تستعيد هدوئها قبل ان تخبرها ان الطبيب جيمس مارلو قادم لرؤيتها وبما ان الوقت اصبح ظهراً فمن المناسب ان تتناول حساء الدجاج باكراً وتابعت: «اعتقد ان علي اخبار الطاهية... هل تعتقدين انه سيتناول الغداء هنا؟»

اجابتها العجوز بغمزة، فنزلت الى المطبخ وقالت ما تريده للطاهية، مع انها لم تشرح لها سبب قدوم السيد جيمس. فلديها متسع من الوقت بعد رحيله.

قالت الطاهية: «هذا أمر رائع، ديبورا. ستجدين من يتناول الغداء معك ولو لمرة واحدة. سأجلس مع السيدة فرنون وهكذا لن يكون هناك سبب كي تسرعي... يمكنك التحدث معه كما تشائين.»

قالت بقلق: «قد يرغب في تناول الغداء بمفرده. سأسأله بكل الاحوال.»

صعدت الى الطابق العلوي، وهي تحمل بيدها بعض الزهور من الحديقة، ارادت ان تعطي انطباعاً جيداً عن السيدة فرتبت لها شعرها وربطته بشريطة ذات اللون الزهر قبل ان ترتب نفسها وشعرها.

حدقت السيدة فرنون بوجه السيد جيمس وهو منحني فوقها: لقد وصل بهدوء، قال صباح سعيد لديبورا وذهب بسرعة اليها.

امسك بيد السيدة العجوز وشعر بحركتها الخفيفة، قال لها: «انك افضل بكثير.» ردت عليه بغمزات كثيرة من عينيها: «اريد ان افحصك بدقة اذا كنت تريدين، طالما ان الطبيب بانسون ليس هنا.»

فحصها بعناية ودقة متناهية، امضى الكثير من الوقت وهو يعاين قدمها، قبل ان يقوم بذات الفحص للقدم الثانية. قال: «من الباكر جداً ان نؤكد ما الذي سيحدث معك، سيدة فرنون، لكن اعتقد انك ستتمكنين من إرجاع نسبة كبيرة من حركتك المعتادة، لكن علينا التقدم ببطء، ان سمعك جيد، اليس كذلك؟ هل حاولت التكلم؟»

اخرجت السيدة العجوز صوتاً كالأنين.

«رائع، يمكنك التكلم ثانية، لا تحاولي اجبار نفسك على ذلك، آنسة ايفرت.» نظر الى ديبورا عندما لمح غمزة من عيني مريضته. «ستتابع ديبورا تدليك ذراعيك ورجليك وعليك ان تشربي كل ما تقدمه لك. لو كنت في المستشفى لكان وضعك الصحي افضل بكثير، لكن حفيدتك اخبرتني

انك لن تكوني سعيدة هناك لذلك علينا القيام بأفضل ما نستطيعه هنا.»

انتظر حتى رتبت ديبورا اغطية السرير على المريضة بعناية. ثم قال: «هل هناك مكان يمكننا التكلم فيه؟»

قالت ديبورا: «نعم، نستطيع التكلم في غرفة الطعام... في حال رغبت بالبقاء للغداء؟»

عادت الى السرير لتخبر مريضتها انها ستنزل الى الطابق الارضي وان السيدة دودد ستحضر على الفور.

نزلت امامه على الدرج، ادخلته الى غرفة الطعام وعادت الى المطبخ، قالت: «أيمكن السيدة دودد ان تصعد اليها لفترة قصيرة؟ يريد السيد جيمس اعطائي بعض التعليمات.»

سألت الطاهية: «ماذا عن تناوله الغداء هنا؟»

«سأذهب لأسأله واعود لأخبرك...»

كان يقف بجانب النافذة وينظر الى الحديقة لكنه استدار على الفور ما ان دخلت الغرفة. قال: «انت لطيفة جداً لدعوتي على الغداء... ربما يمكننا التكلم في ذات الوقت؟»

«انا ايضاً؟ انت تريدني ان اتناول الغداء معك؟ عادة اتناول غدائي على صينية...»

«أتمنى كثيراً ان تكوني برفقتي.»

«نعم، حسناً، اذا كان هذا ما تريده... سأقول للطاهية.»

عادت الى المطبخ قليلاً ثم رجعت اليه.

«انني آسفة لا ادري اين تضع السيدة فرنون الشراب... ما اقصده، انني خادمة...» احمرت خجلاً تحت نظراته المتعجبة.

قال: «عليَّ العودة الى لندن بعد قليل.»

«اذن لن تمانع ان تناولت الليموناضة او اي شيء من العصير.» فوافق بسعادة.

اعدت الطاهية، بعيداً عن ملاحظات السيدة فرنون القاسية، غداءً رائعاً، الحساء، فطيرة بالدجاج وسلطة الخضار وحلوى خفيفة مع المربى والكريما.

استمتعت ديبورا بكل قضمة، مدركة ان السيدة فرنون الشابة ستغضب كثيراً من فكرة جلوس مرافقة عمتها الى طاولة الطعام مع السيد جيمس وتناول هذه الوجبة الرائعة.

قررت بعد انتهاء تناول فطيرة الدجاج ان الوقت اصبح مناسباً لتسأل بعض الاسئلة قالت: «هل ستستعيد السيدة فرنون صحتها ثانية؟ وهل سيستغرق ذلك وقتاً طويلاً؟»

«ليس تماماً على ما أخشاه، لكن من الممكن ان تتمكن من السير مع آلة خاصة، وان تجلس على كرسي نقال كما يمكن ان تستعمل احدى يديها ومن المحتمل اليد اليسرى اكثر ضعفاً من اليد اليمنى. اما بالنسبة لمعاودة الكلام، فقد يكون كلامها غير مفهوم وبطيء. لكن لا أرى سبباً كي لا تتمتع بحياتها ثانية، لكن، متى ستعود السيدة فرنون؟»

«لا أعرف.»

«والطبيب بانسون؟»

تنفست بعمق قبل ان تقول: «لم تقل بالتحديد، انني آسفة ان اخطأت بالاتصال بك، سيد جيمس، لكنني لم اكن اعرف ماذا افعل.»

اخذ قطعة ثانية من الفطيرة قبل ان يقول: «لقد فعلت ما هو مناسباً تماماً، آنسة ايفرت. سأتصل بالطبيب بانسون في اقرب فرصة وسأقترح علاجاً افضل. كم ستبقين هنا؟»

«لا فكرة لدي. لكن امرأة أعرفها هي خالة السيدة فرنون الشابة، وكانت السيدة فرنون تعاني من خدمة عمتها... فلم يكن هناك غير ممرضة مناوبة تأتي لزيارتها كل صباح.» ترددت قبل ان تقول: «كنت بحاجة الى العمل لذلك اتيت الى هنا.»

«لا خطط لديك للمستقبل؟ لا نية لديك في الزواج؟»

نظرت اليه مستفهمة وهي تقول: «لا، لا على الاطلاق.»

قال وهو يبتسم: «لم أسألك بسبب الحشرية، كنت افكر ان السيدة فرنون ستتحسن ولن تبقى بحاجة لرفيقة دائمة.»

«آه، افهم، لكنني اعتقد اذا تحسنت صحة السيدة فرنون فإن حفيدتها ستتولى أمر خدمتها بنفسها.»

«ربما، سنرى. ليس هناك من حاجة لإخبار أحد لا السيدة فرنون ولا الطبيب بانسون. سأجد الطريقة المناسبة للاتصال بهما في اول فرصة.»

تناولا الحلوى بينما كانا يتبادلان الحديث العادي، وبطريقة بسيطة وناعمة كان يسقط عنها مخاوفها فأخذت تخبره اشياء عنها لم تعتقد انها ستخبرها لأحد.

غادر بعد زيارة قصيرة للسيدة العجوز، تمنت ديبورا وهي تودعه لو انها تتمكن من رؤيته ثانية.

قالت لنفسها وهي تراقب سيارته تبتعد: «لا بد انك حمقاء، ايتها الفتاة، فلا بد انه سينسى اسمي بعد مرور شهر على الاقل.»

مرت ثلاثة ايام كانت خلالها حركة السيدة فرنون اكثر راحة وثقة. كانت ديبورا تشعر بالفرح والشوق لاخبار احد ما بذلك، لذلك فرحت كثيراً برؤية الطبيب بانسون في صباح

اليوم الرابع. دخل الغرفة وهو يتمنى لهما صباحاً سعيداً قال: «ما هذا الذي سمعته من الطبيب جيمس؟ لقد طلب مني الذهاب الى لندن لمناقشة الأمر معه. لقد تفاجأت جداً وبالحقيقة تعجبت.»

لماذا؟ تساءلت ديبورا بصمت، لكنها توقعت ان يكون ذلك لتحسن صحة السيدة فرنون.

قال مخاطباً مريضته: «كم ستفرح حفيدتك، انه لسوء الحظ انني لا اعرف اين هي بالتحديد لكن السيد جيمس تولى أمر ايجادها. اعتقد انها اصبحت بأفضل حال لتعود الى بيتها وتعاود مسؤلياتها الكبيرة.»

لم يتلق جواباً من احد، ذلك أن السيدة فرنون لا تستطيع الكلام، ولم تجد ديبورا ما ستقوله كجواب له. وعوضاً عن ذلك سألته ان كان يريدها ان تغير ثياب مريضته كي يتمكن من فحصها.

قال عندما انتهى: «امر رائع حقاً، بالطبع سنعرف المزيد بعد اسبوع او اكثر وفي الوقت الحاضر سأذهب لأرى السيد جيمس. انه يجد حالتك مهمة جداً.» نظر الى ديبورا وتابع: «وهذا يعود الى اهتمامك الكبير وعيناك الجميلتان، ديبورا. ستسعد كثيراً السيدة فرنون عندما ستسمع الاخبار الجديدة.»

لم تعارضه بل رافقته الى غرفة الجلوس وقدمت له القهوة بينما كانت تتساءل كيف سيتمكن السيد جيمس من ايجاد السيدة فرنون الشابة. ربما انهما يعيشان ذات الحياة الاجتماعية. تخيلت صورة للسيد جيمس، رائعاً في بدلة رسمية وينتقل مع فتاة جميلة للعشاء في سافوا او الرتز

ويلتقي بالسيدة فرنون التي تكون مع زوجها. كم سيكون سهلاً تمرير هذه الاخبار الجيدة؟ كان عليها ابعاد هذه التخيلات كي تتمكن من الاصغاء جيداً لأوامر الطبيب بانسون الذي كان يعطيها التعليمات بما عليها فعله.

مرت ثلاثة ايام اخرى قبل ان تعود السيدة فرنون بصحبة زوجها الى البيت. كانت ديبورا قد انتهت للتو من إطعام السيدة فرنون عندما اتت السيدة دودد تطلبها. قالت بسرعة: «سأبقى هنا، السيدة فرنون تريد رؤيتك. لقد وصلت منذ اقل من عشر دقائق. الطاهية في مزاج جيد ومرتاحة، يمكنني ان اقول لك، انها لم تعرف بشيء فكل شيء عادي.»

ذهبت الى المرأة العجوز وقالت لها: «صباح سعيد، سيدة فرنون، انت افضل الآن، اليس كذلك؟ سأعود عندما استطيع.» واسرعت بالنزول من الدرج الخلفي الى القاعة.

كان باب غرفة الجلوس مفتوحاً وكانت السيدة فرنون الشابة تقف في وسط الغرفة، استدارت عندما دخلت ديبورا، وعلامات الغضب واضحة على وجهها. وقالت: «ما كل الذي سمعته؟ لقد رأيت السيد جيمس في لندن، ولقد اخبرني ان عمتي ستشفى من الشلل. يجب علي الاعتراف ان هذا غير متوقع...»

قالت ديبورا: «اخذت السيدة فرنون تتحرك قليلاً ـ لا تملك القدرة كي تتكلم لكنها تصدر اصواتاً ويبدو انها ترغب بالطعام الذي تاكله. انها حقاً افضل.»

«وما الذي سمعته عن إتصالك بالسيد جيمس؟ فكرة ممتازة... يبدو انك تتجاوزين حدودك.»

«كان الطبيب بانسون غائباً كذلك لم استطع الوصول الى

البديل، اعتقدت ان حالتها طارئة ومن الافضل ان يراها السيد جيمس ليخبرني ماذا سأفعل.»

«لم يكن هناك من حاجة لكل ذلك. فتحسن حالة عمتي ليست الا نقطة ماء في الصحراء. وكل هذا الحماس سيء لي لأنني كنت استعيد صحتي وبدأت ارتاح. عليَّ ان اتكلم مع زوجي وسيوافق معي ان كل هذا مجرد ازعاج لعمتي...»

نظرت بحدة الى فلوري التي فتحت الباب لتقول: «السيد جيمس مارلو، يا سيدتي.» وابتعدت قليلاً لتمكنه من الدخول.

نقل نظره بين غضب وجه السيدة فرنون وشحوب وجه ديبورا وقال: «سيدة فرنون، انني بطريقي نحو البريستول وقد اغتنمت الفرصة كي اراك. اعتقد ان الطبيب بانسون بطريقه الى هنا ايضاً. ربما يمكننا إلقاء نظرة معاً على صحة عمتك ومناقشة أمر مستقبلها، واعتقد انه للأفضل.»

كان قد سلَّم عليها وهو يتكلم. بعدها نظر الى ديبورا وقال: «لقد تصرفت الآنسة ايفرت بمسؤلية باتصالها بي، علينا شكرها على ذلك...»

ابتسم لديبورا واضاف متابعاً حديثه: «هل زوجك هنا؟ قد يمكننا ذلك من التحدث على الفور.»

ضبطت السيدة فرنون اعصابها وقالت: «كم هو جيد من قبلك الحضور الى هنا، سيد جيمس. سنكون ممتنين لك ان عاينت عمتي.» ابتسمت لديبورا وعيناها تتقدان شرراً «وبالطبع نحن ندين بذلك لديبورا واهتمامها الرائع.»

دخل السيد فرنون والطبيب بانسون معاً فقالت السيدة فرنون: «يمكنك الذهاب ديبورا، ارسلي السيدة دودد الى هنا ولتحضر معها القهوة.»

ذهبت ديبورا ولم تقل شيئاً، كان وجهها الهادىء لا يعكس اي انفعالات، فقط عيناها الزرقاوان كانتا تظهران كل ما تشعر به، فتح السيد جيمس لها الباب، ولاحظ مبلغ توترها وحزنها.

بعد قليل صعد الجميع الى الطابق العلوي واخذت السيدة فرنون الشابة تتحدث بجانب السرير، ترتب الاغطية والوسادة تحت رأس عمتها حتى سألها السيد جيمس بهدوء ان كانت تسمح له بمعاينة عمتها. خرج السيد فرنون ولحقت به بعد قليل زوجته بعد ان تأكدت من صحة تحرك قدم عمتها. قال السيد جيمس ان احدى القدمين تستجيب بقوة اكثر من الاخرى ولكن هذا أمر متوقع، فقط الوقت كفيل بمعرفة مدى تحسنها.

قالت وهي تغادر: «حسناً، حسناً، ربما يمكنكما الانضمام الينا عندما تصبحان جاهزين.» بقي الطبيبان يتكلمان ويهزا رأسيهما بإعجاب بينما ابتعدت ديبورا الى الزاوية كي لا تسمع حديثهما. مع انها كانت ترغب كثيراً بمعرفة ما يقال.

قال السيد جيمس الى سريرته: «لدينا انا والطبيب بانسون فكرة، ان عليك قضاء وقت من الراحة كي تشفي تماماً، يا سيدة فرنون، ومن الافضل في مكان حيث يمكنك الجلوس في الهواء الطلق. كما اننا سنحتاج لبعض العلاج الفيزيائي وشخص يهتم بك، لكن يجب ان تكون حياتك هادئة وبدون ادنى قلق. سأذهب انا والطبيب بانسون لمناقشة الامر مع قريبتك وزوجها لذلك استودعك بسلام. سيخبرني الطبيب بانسون ان كنت بحاجة لي ثانية.»

ابتسم لديبورا وهو يغادر فأخذت تراقبه وهو يبتعد واحساس بخيبة الأمل يغمرها. سيرسلون السيدة العجوز الى احدى دور العجائز وسيفصلونها عن عملها، بالاضافة الى انها لن تعرف ابداً اذا كانت السيدة فرنون قد حققت آمال الاطباء. لم تحبها قريبتها ولن تفوت الفرصة بطردها. اخفت جميع مخاوفها ومشاعرها وجلست بقرب السيدة العجوز واخذت تتحدث بفرح عن مستقبل المريضة السعيد.

كان السيد جيمس يتصرف بإرادة وتصميم لينفذ ما يريده. بينما كان ينزل الدرج مع الطبيب بانسون سمع منه ان السيدة العجوز تملك كوخاً وقال: «انه مكان رائع لكنه بعيد جداً بالقرب من كنغربردج لكنه قريب كفاية من الرعاية الصحية.»

قال السيد جيمس ببساطة انه الحل المثالي لمستقبل السيدة فرنون فإمضاء عدة اشهر في مكان جميل سيتيح لها الفرصة كي تستعيد نشاطها.

وفي ذات الوقت ستتمكن السيدة فرنون الشابة من التخلص من اسابيع مضنية من القلق والاعتناء بعمتها. يمكن لمرافقتها الشابة ان تستمر معها طالما انها معتادة عليها ويمكن لطبيب المنطقة هناك ان يزورها دائماً كما بإمكانها الحصول على العلاج الفيزيائي.

فتحت السيدة فرنون فمها لتتكلم، لكنها لمحت الغضب في عيني زوجها فأقفلت فمها. قال السيد فرنون: «يمكن لكل هذا ان ينفذ.» كان السيد فرنون في منتصف العمر وقد قرر التخلص من هذه المشكلة العالقة. فلعمته مال خاص كاف، وهذا الميراث مضمون له، وبما انها لن تعيش لسنوات

طوال بعد فمن الافضل للجميع ان تعيش مرتاحة في منزلها الخاص. ان وصيتها بأمان في ايدي محاميه وبما انها لا تستطيع الكتابة فليس هناك من خطر برحيلها. قد تسبب الفتاة ديبورا بعض القلق، محاولة الحصول على المال من المرأة العجوز، لكنه سيضع حداً لذلك قريباً...

راقب السيد جيمس وجهه وفهم ما الذي يفكر فيه. قال: «بالطبع، يمكنك ابقاء عمتك هنا، لكن هذا يعني ان عليها الانتقال الى الطابق الارضي وفيما بعد يجب ان تحضر لها كرسي متحرك لتخرج الى الحديقة.»

هذه الفكرة جعلت السيدة فرنون تفكر ملياً.

صرخت قائلة: «عليها الذهاب الى الكوخ، ستكون عملية صعبة جداً نقلها الى هناك لكن اذا كان هذا مفيد لها فلا شيء صعب علينا.»

لمعت عينا السيد جيمس تحت رموشه لكن كل الذي قاله: «سيسعدني انا والطبيب بانسون ان نقرر متى يمكنها الانتقال.» بعدها ودع الجميع وغادر على الفور. لقد فعل كل ما بوسعه للسيدة فرنون العجوز ولصاحبة الشعر الاحمر، لا شك لديه ابداً ان السيدتين ستكونان اكثر سعادة في الكوخ منه في تلك الغرفة المقفلة في الطابق العلوي.

الفصل الثالث

مرّ شهر قبل ان يقرر الطبيب بانسون ان عليه استشارة السيد جيمس ثانية. اصبحت السيدة فرنون تجلس بمفردها في السرير وبإمكانها ان تحرك ذراعيها ويديها كذلك تستطيع ان تضع قدميها على الارض.

كما كان يأتي طبيب فيزيائي لزيارتها مرتين في الاسبوع لكن لم يصل الى أية نتيجة، لذلك كانت ديبورا تتبع استشارة الطبيب بانسون بتدليك وحف مفاصل السيدة وتشجيعها دائماً. كان بإمكانها التلفظ ببعض الكلمات كما اصبح بإمكانها كتابة رسالة صغيرة بيد مرتجفة، لكن كل تلك العجائب لم تكن شيئاً بالنسبة الى قريبتها، التي استمرت بزيارتها كل صباح، لتسأل عن صحتها ولتغادر على الفور.

طلبت ديبورا فرصة لنصف يوم كي تتمكن من الذهاب الى لشلايد كي تشتري بعض الحاجات الضرورية،فردت عليها بتقريع طويل عن الحياة السهلة التي تعيشها بدون اي عمل تقوم به، وعن عادتها السيئة بالسؤال الدائم عما يجب ان تفعله او تأكله السيدة العجوز حيث يعلم الجميع ان لا حاجة لذلك، لكنها لم تجب وبقيت هادئة وحصلت على فرصة للتسوق.

قالت السيدة فرنون بسرعة وهي تراها تغادر الغرفة:«انت لست سوى مخادعة صغيرة، ويمكنني القول بصدق انني لااستطيع الوثوق بك ان ابتعدت قليلاً.»

حاولت ديبورا ان تنسى الكلام القاسي الذي سمعته واخذت تبحث عن الباص، كانت قد قبضت اكثر من راتب ولم يتسن لها اية فرصة كي تنفق اي قيمة منه فقررت ان تنفق مالها على شراء ثياب لها تناسبها لهذا الوقت من السنة اكثر من البدلة والثوب القديم اللذين احضرتهما معها.

كانت لشلايد مدينة جميلة. تمنت لو لديها الوقت الكافي لتتجول فيها وتتعرف على كل معالمها لكن الباص سيعود عند الساعة الخامسة وليس لديها اكثر من ساعتين لتتجول فيهما. وجدت محلاً ناسب ماتريده تماماً، مع أنه لايحتوي على اكثر الازياء شهرة بل على نوع الثياب التي تفضلها. امضت الكثير من الوقت هناك وخرجت وهي تحمل ماتريده. فقد اشترت فستانين من القطن، تنورة من القماش الانيق وقميصين مع جاكت غير رسمية، وثوب للعمل اكثر اناقة من الذي ترتديه الان. اشترت ايضاً حذاء قبل ان تتناول الشاي في مقهى وتعود ثانية الى الباص.

عندما رجعت الى غرفة السيدة فرنون العجوز، عرضت عليها كل مااشترته. فأبدت السيدة موافقتها ورضاها عن كل ماشاهدته فأخذت ديبورا تخبرها بتفصيل عن كل ماحدث معها بعد الظهر تابعت واعدة لها: «عندما نصبح في الكوخ ستحصلين على كرسي نقال وسنذهب معاً للتسوق.»

ارتدت التنورة واحدى القمصان التي اشترتهما البارحة طالما ان الطقس اصبح دافئاً في آخر ابريل. كان عليها ان ترتدي الزي المانع للماء كي تستحم السيدة فرنون لكنها كانت تشعر بالرضى، لأنها ترتدي ثياباً جديدة. شعرت بالحزن لأنها لم تتمكن من نزع المريول قبل ان يدخل

الطبيب بانسون والسيد جيمس الى الغرفة. لم تتوقع حضورهما ولم يخبرها احد بذلك. لكنها شكرت حظها لأن السيدة فرنون نظيفة ومرتبة ومستعدة لاستقبالهما. اما هي فكانت قلقة، انها تبدو بشعة بشعرها المنسدل على كتفيها والمتجمع حول خديها. تمنيا لها صباحاً سعيداً وسأل السيد جيمس بهدوء: «لم تعرفي اننا سنحضر اليوم؟» هزت رأسها وقالت: «لا، لم تخبرني السيدة فرنون، لكن لم أقم بتدليك السيدة فرنون كما انها لم تضع قدميها بعد على الارض اليوم...»

قال وهو يبتسم لها ابتسامة صديق: «ممتاز، لأننا الآن سنرى تقدمها بأنفسنا. لقد حصلت على تقرير رائع من الطبيب بانسون.»

استمرت معاينة السيدة لفترة طويلة، اخيراً، وقف السيد جيمس وقال: «اعتقد ان السيدة فرنون بحالة جيدة تسمح لها بالسفر الى الكوخ في دفون. كل التحضيرات يجب ان تجهز بالطبع ليكون سفرها مريحاً ولا يؤثر عليها سلبياً. كما يجب اعلام الطبيب المناوب هناك وتهيئة الكوخ لاستقبالها.» نظر الى ديبورا التي كانت تقف بهدوء بالقرب من السرير وتابع: «سيكون من المناسب لو ان الآنسة إيفرت تذهب اولاً لتتأكد من ان كل شيء معد لاستقبال السيدة فرنون...»

قال الطبيب بانسون: «اني متأكد ان بإمكاننا تدبر ذلك. يمكننا مناقشة الامر في الطابق الارضي مع السيدة فرنون. ستكون سعيدة جداً للقيام بأي شيء يؤمن الراحة والسعادة لعمتها.»

ابقت ديبورا عينيها على السرير،وهي تفكر، لن تكون السيدة فرنون الشابة سعيدة على الاطلاق لكن سيبدو الامر كذلك ان أقنعها السيد جيمس.

وهذا مافعله، لأنها صعدت بعد ظهر ذلك اليوم الى غرفة عمتها لتخبر ديبورا وعمتها عما ستفعلانه. على ديبورا ان تسافر بالقطار لتتأكد من تمكن استعمالهما للكوخ، وتأمين الغاز والكهرباء وتحضير كل شيء لاستقبال العجوز. قالت:«عليك الوصول الى هناك بمفردك، ستذهبين بالقطار الى توتنز وهناك ستستقلين الباص، ستعرفين متى يمكنك الرحيل.»

شعرت ديبورا، ان الامر غير مريح، لكن ما ان يصبحا هناك حتى يستحق الامر كل عناء.

قالت السيدة وهي تغادر الغرفة:«ستتقاضين راتباً على ذلك، وسأخبرك عن موعد الرحيل قبل يومين من انتقال سيارة الاسعاف وبذلك تحصلين على الوقت الكافي لتدبر كل شيء.»

مرت ثلاثة ايام قبل ان تعلم ديبورا ان عليها المغادرة في اليوم التالي.

قالت متذمرة:«لاأعلم كيف سأتدبر الامر. لقد طلبت من ممرضة ان تحضر لمساعدتي، بالطبع، انا لست قوية كفاية لأهتم بعمتي بمفردي، كما تعرفين، احزمي كل ماتعتقدين انها بحاجة له ودعيه جانباً،يمكنك اخذ حقيبتك معك.»

قامت ديبورا بكل اعمالها بينما كانت توضب أغراضها واغراض السيدة العجوز. ايضاً بعناية واهتمام.

لم تكن ترغب بترك السيدة العجوز لذلك اخذت تخبرها

عن رحلتها... ستنتقل بالباص الى سويدن وستأخذ القطار الى بريستول وهناك عليها ان تستقل قطاراً جديداً للذهاب الى اكستر حيث ستأخذ قطاراً آخر الى توتنز ومن هناك تأمل ان تجد باصاً ليقلها الى دفون.

خرجت عند الصباح الباكر، وهي تحمل رزمة من السندويشات اعطتها اياها الطاهية، وتفاحة من السيدة دودد وذكرى وجه السيدة العجوز الحزين وهي تودعها. اعطتها السيد فرنون مالاً يكفي لشراء الحاجيات والطعام وللعيش في الكوخ بطريقة لائقة مع الطلب منها حساب لكل ماتنفقه واضافت بغضب:«كل هذا لاقيمة له. كان من الافضل لها لو تركت بسلام، هذه الرحلة ستقتلها.»

لم تجب ديبورا على كلامها.

استغرقت الرحلة الى سويدن فترة طويلة لكنها توقفت امام المحطة، لذلك تمكنت من الانتقال الى القطار. استغرقت رحلتها الجديدة ساعة للوصول الى بريستول وهناك ستنتظر فترة قصيرة لتصعد الى القطار الذي سيوصلها الى اكستر. تفاجأت ديبورا من دقة المعلومات التي قدمها لها الطبيب بانسون عن طريق رحلتها والتي كانت منظمة بدقة. غادرت القطار الذي اوصلها الى البريستول وسارت في المحطة كي تصل الى مكان القطار الذي سيغادر الى اكستر. كانت حقيبتها ثقيلة الوزن وكم كانت ترغب في تناول فنجان قهوة لكن ليس هناك كثير من الوقت قبل ان يغادر القطار كما ان المحطة مليئة بالمسافرين. وضعت حقيبتها على الارض ونظرت حولها لترى موظفاً او شخصاً ما يخبرها انها في المكان

المناسب، لكنها لم تجد احداً. مدّت يدها لتلتقط حقيبتها ثانية، لكنها لم تكن هناك، كان السيد جيمس الذي يقف وراءها، قد حمل حقيبتها.

قال بصوت عادي:«كنت اخشى ان لاراك، السيارة في الخارج، هيا تعالي.»

كانت سعيدة جداً، برؤيته لدرجة انها شعرت بالدوار من شدة الفرح لكنها لم تكن ترغب في إظهار ذلك. فقالت:«الى أين؟ صباح الخير، سيد جيمس.»

«ذكر امامي الطبيب بانسون انك ستستقلين هذا القطار وانا بطريقي الى بلايموث.يبدو انني فعلت خيراً بقدومي الى هنا.»

قالت ديبورا:«لست ذاهبة الى بلايموث.»

«لاتثيري المشاكل، ديبورا... يمكنني ان انادي ديبورا؟ علي المرور على بعد بضعة اميال من ساوث بول ولن يحدث شيء ان اوصلتك بطريقي.»

وضع يده على ذراعها وقادها بلطف ولكن بحزم عبر الطريق التي دخلت منها وبعدها الى خارج المحطة. قال:«انها رحلة مزعجة بالقطار خاصة اذا لم تصعدي بالقطار المناسب، كما انني اعتقد قد تواجهين صعوبة بالحصول على وسيلة نقل من توتنز.»

فتح باب السيارة وهو يتكلم ودفعها بنعومة الى الداخل، وضع حقيبتها في صندوق السيارة وجلس بجانبها، قال لها:«انه لأمر سعيد ان يجد المرء من يتكلم معه.هل زرت يوماً دفون؟»

«اعرف طوكي كنا نذهب دائماً الى هناك عندما كنت

صغيرة،هل انت متأكد انني لن ازعجك؟قد تصل متأخراً الى بلايموث.»

«لا، لا، لدي معاينة هناك في صباح الغد، فأنا لست مسرعاً للوصول اليوم.»

قاد السيارة بثبات وهدوء ولم يقل الكثير، حتى وصلا الى مكان للاستراحة. سألها:«أترغبين بالقهوة؟» وعندما اجابت نعم سارا معاً الى المطعم القريب، جلسا الى الطاولة وطلبا القهوة.

فكر، انها لاتملك المظاهر الخادعة التي تلفت انتباه الجميع، مع ان عينيها جميلتان وبشرتها رائعة. اما شعرها فمثير للانتباه بلونه الاحمر، لكنها تربطه دائماً الى الخلف. تساءل لماذا اقنع نفسه للحضور ونقلها الى ساوث بول، فكر انه يشفق عليها لأنها تعاني الكثير مع السيدة فرنون... لكنها لن تشكره على تعاطفه معها. شعر ان تحت هذا المظهر الهادىء هناك فتاة قوية ولديها الكثير من التصميم والعزم. واذا اكتشفت انه طلب من الطبيب بانسون كل التفاصيل عن رحلتها من المحتمل ان تنهض وتغادر على الفور. لم يكن يعرف لماذا قرر ان يوصلها الى دفون، فمما لاشك فيه انه لايشعر بالشفقة نحوها على الاطلاق. كان يشعر بالحزن عليها ويتعجب كيف يمكنها ان تبقى هادئة رغم انتقادات السيدة فرنون الشابة. كان رجلاً لطيفاً ويشعر تماماً انها غير سعيدة. فتيات غيرها كنّ تركن العمل عند السيدة فرنون منذ اسابيع ووجدن لأنفسهن عملاً افضل، لكنها ليست مثل كل الفتيات...

ابعد التفكير بها ما ان وصلت القهوة وبدأ يتحدث معها ببساطة محاولاً ان يخفف عنها.

عاد ليقود سيارته، وليتحدث اليها بين الحين والحين، وبدأت ديبورا تشعر بالراحة والفرح. فالسيارة الكبيرة كانت مريحة، تقطع الطرقات بسرعة وبدون اي ضجة، وطباع شريكها مشجعة ومريحة. فكرت بقلق انها لم تعش حياة عادية معظم ايام حياتها... كان والتر وبربارا يتعمدان مضايقتها ولقد تابعت السيدة فرنون عملهما. كما تمنت لو انها لم تمض سنوات عدة تهتم بزوج أمها القاسي وبذلك كان من الممكن ايجاد الفرص لمقابلة اشخاص من عمرها. كما ان السيد جيمس ليس من عمرها ايضاً، قررت انه بالتأكيد يقارب الاربعين سنة، ومن المؤكد انه متزوج ولديه العديد من الاطفال.

سألته:«هل تعيش في لندن؟»

«نعم... إنها المكان المناسب لعملي، لكنني املك منزلاً صغيراً في الريف.»

كانت تريد ان تسأله اين يقع منزله هذا لكن شيء ما في صوته الهادىء منعها. وعوضاً عن ذلك تحدثت عن الجمال الساحر لمنطقة الريف التي كانا يمران بها وبعدها غرقت في الصمت. كان لديها الكثير من الاشياء لتفكر بها. فهناك اعمال عليها القيام بها من تهوئة الكوخ وتنظيفه وجعله آهلاً لاستقبال السيدة...

قال لها السيد جيمس:«سنتوقف للغداء، مدينة باك فاست ليف امامنا وعلى ماأذكر، هناك حانة جيدة على الطريق العام.»

كان المكان اقرب منه الى الفندق من المقهى، مؤثث بعناية ومليء بالضيوف. اختارت ديبورا الحساء وقطعة من اللحم وفنجاناً من القهوة. كانت تشعر بالجوع لتأكل المزيد لكنها اعتقدت ان شريكها لايرغب في اضاعة الوقت لأجل الطعام. عادا لتكملة طريقهما في أقل من نصف ساعة، طريق تحف بها الاشجار من الجانبين وفيها الكثير من المنعطفات، لكن لم يبدُ على السيد جيمس اي تذمر او فقدان للصبر.

قال لها:«سنصل الى توتنز قريباً وبعدها كنغزبريدج... سنكون هناك خلال ساعة من الوقت.»

وصلا الى كنغز بريدج حيث الطريق تسير بمحاذاة النهر من البلدة حتى الوصول الى طريق الريف، كانت الطريق تضيق احياناً حتى تكاد تلمس المياه او أغصان الاشجار المتدلية.

كانت الطريق تبتعد عن النهر صعوداً عبر التلال وبعدها الى شارع القرية المليئة بالمنازل والاكواخ القديمة.

قالت ديبورا:«المنعطف الاول على الشمال، إنه طريق غير نافذ. والكوخ الاخير... يدعى كوخ الضفادع.»

أوقف السيد جيمس سيارته عبر الطريق الضيق الذي يتسع تدريجياً ليصل الى باحة صغيرة مليئة بالاعشاب الجميلة، ومحاطة بالأكواخ الجميلة القريبة من بعضها البعض ولكن كل كوخ مختلف عن الآخر. كانت ابواب عدد من الأكواخ مفتوحة وأطل عدد من الوجوه لتنظر اليهما قبل ان تتوقف السيارة امام الكوخ الاخير. كان الكوخ اكبر من باقي الاكواخ، فيه عدد من النوافذ الصغيرة ولون جدرانه زهر.

قالت ديبورا وهي تستعد للخروج:«عليّ ان أبحث عن المفتاح عند احد الجيران.»

«سأحضره بنفسي... انتظري هنا.»

عاد بعد قليل وهو يحمل المفتاح بيده بعد ان تحدث مع إمرأة بدينة. فتح باب السيارة لها واعطاها المفتاح. ابتعد قليلاً كي تتمكن ديبورا من فتح الباب. كان المفتاح كبيراً وثقيل الوزن لم تتمكن من إدخاله في القفل، فساعدها في ذلك.

فتح الباب على غرفة الجلوس الكبيرة، ذات السقف المنخفض، انها مظلمة قليلاً لكنها مفروشة بعناية مع تلك المقاعد القديمة الطراز. ومقعد كبير للراحة كذلك طاولة مستديرة تحت النافذة. كان هناك باب في آخر الغرفة وبجانبه مطبخ صغير مجهز بكل التجهيزات الحديثة. ومن الجهة المقابلة غرفة زجاجية متصلة مباشرة بحديقة صغيرة. رأت درج وراء باب آخر في المطبخ، فقالت بقلق:«لكن يجب على السيدة فرنون ان تبقى في الطابق الارضي...»

عاد السيد جيمس الى غرفة الجلوس وفتح باباً آخر قرب المدفأة انها غرفة صغيرة مفروشة كغرفة نوم. قال:«غرفة مثالية، ماان يتصل بكما الطبيب المناوب في القرية، دعيه يستأجر كرسي متحرك، فالابواب هنا متسعة بما فيه الكفاية. لاحاجة للسيدة ان تبقى في غرفتها طوال الوقت واذا كان الطقس جيداً بإمكانها الخروج الى الحديقة. لنصعد الى الطابق العلوي.»

كان هناك غرفتين صغيرتين لكنهما مفروشتان بترتيب

وبينهما غرفة حمام صغيرة. وقفا في الردهة الصغيرة فقال السيد جيمس:«كوخ مناسب ومرتب ايضاً.» فوافقته ديبورا. عادا الى الطابق الارضي ففتحت ديبورا النافذة. كان الكوخ نظيفاً، لكنه بحاجة الى الهواء المنعش. ستفعل ذلك ما ان يغادر السيد جيمس.

قال:«اعتقد ان الوقت اصبح متأخراً لشرب الشاي، لكن اعتقد ان هناك حانة ما لتناول العشاء قبل ان تبدأي بعملك.»

بدأت ديبورا بالقول:«لكنك ستصل متأخراً.»

«لاتبعد بلايموث كثيراً عن هنا، كما وانني، اشعر بالجوع.»

كانت الحانة على مقربة من الكوخ، على الطريق الرئيسية للقرية وقربها باحة صغيرة. توقف السيد جيمس قبل ان يدخل وقال:«هل احضرت طعاماً معك؟ شاي، قهوة؟»

«لا، اعتقدت انني سأفعل ذلك عند الصباح.»

نظر عبر الشارع الى متجر قريب قال:«لنذهب ونتسوق اولاً، هل اعطتك السيدة فرنون مالا؟»

«اه، نعم، كما انها سترسل لي المال كل اسبوع، مايكفي لنا معاً...»

«كم سترسل لك؟»

قالت له قيمة المبلغ، فرفع حاجبيه لكنه لم يقل شيئاً عن ذلك بل قال:«هل لديك قائمة بما تريدين؟»

اخذت القائمة من حقيبتها فنظر اليها وقال:«حسناً، اذا كنت تريدين مايكفيك للغد. لنقل اننا قمنا بذلك معاً؟»

ساعدتها البائعة بإحضار الحليب والخبز،والشاي والسكر وكذلك الزبدة والبيض واخذت تسألها عن سبب

قدومها.بالطبع الجميع يعرف السيدة فرنون،العجوز لم تأت الى هنا منذ عدة سنوات لكن مازال الجميع يتذكرها، وكم هو رائع رؤيتها ثانية. تابعت:«انت تهتمين بها، ياعزيزتي؟ وكذلك زوجك؟»

قالت ديبورا وقد احمر وجهها خجلاً:«انه ليس زوجي.» ولم تجرؤ على النظر اليه وهو يجلس على كيس البطاطا ببساطة وراحة.

دفعت ثمن ما اشترته وأخذت الاغراض منها وسارا معاً الى الحانة. كانت الحانة صغيرة، فيها عدد من الطاولات ومدفأة.

احضر النادل الشاي ومعه المعجنات والسلطة. لم يتحدثا كثيراً. كانت ديبورا تشعر انها المرة الاخيرة التي تراه فيها. يبدو انه من الصعب ان يتصلوا به للمعاينة الطبية. فالسيدة فرنون تتحسن باستمرار والطبيب بانسون هو الطبيب المناوب لها.

عادا الى الكوخ ،ودعها السيد جيمس بطريقة عادية وسمع منها الكثير من الشكر ولكن بهدوء وكياسة.

راقبت سيارته حتى اختفت وعادت الى الكوخ. وضعت الاطعمة في اماكنها وعادت تنتقل من غرفة الى غرفة، متأكدة من معرفتها لكل الحاجات. كان المكان مؤهلاً بطريقة جيدة فهناك هاتف، فرن كهربائي وسائل تدفئة للأسرة. كذلك مدفأة في غرفة الجلوس، وعندما بحثت في الغرفة الزجاجية وجدت الفحم. ستشعل النار غداً للسيدة فرنون كي تسعدها عندما تصل.

فتحت كل النوافذ، رتبت الأسرة لأن هناك الكثير من

الاغطية النظيفة. رتبت غرفة من غرف النوم في الطابق العلوي ووضعت ثيابها فيها ونزلت الى المطبخ لتحضر الشاي قبل ان تذهب للنوم.

كان هناك قليل من الوقت لتفكر به في اليوم التالي، لم ترتاح الا عدة دقائق بين التنظيف ومسح الغبار وجعل المكان جاهزاً. لكن بما انها فتاة منظمة فقد اخذت سلة الشراء من المطبخ وذهبت الى دكان القرية، حيث عادت محملة، وضعت كل شيء في مكانه وجلست تتناول غداءها. بعد ذلك خرجت الى الحديقة لتلتقط بعض الازهار وتضعها في وعاء خاص في غرفة السيدة. واخرى في غرفة الجلوس، بعد ذلك قررت ان تغير مكان السرير كي يواجه غرفة الجلوس من خلال الباب المفتوح.

شعرت بالرضى من عملها، فجلست لتكتب قائمة بما اشترته. فالسيدة فرنون سترغب برؤيتها عندما تحضر.

نهضت باكراً في صباح اليوم التالي. لم يخبرها احد في اي وقت ستصل سيارة الاسعاف لكنها فكرت انها لن تصل الا بعد الظهر.

حضرت الشاي، وحساء الدجاج وصنعت لها طعاماً بالحليب كما هرست لها اللحم حتى اصبح كالكريما.وحضرت صينية الشاي.

كانت الساعة قد جاوزت الخامسة عندما وصلت سيارة الاسعاف،خرجت للقائها، متأكدة انها سترى سيارة أخرى برفقتها، لكنها لم تجد شيئاً.

افترضت ان السيدة فرنون ستكون داخل سيارة الاسعاف، فأسرعت الى جانب الباب عندما فتح.

خرجت الممرضة اولاً وقالت:«اعتقدت اننا لن نصل ابداً، مع ان السيدة العجوز قد تحملت الرحلة بكل راحة.»

قالت ديبورا:«لا بد انكم جميعاً تشعرون بالتعب. اعتقدت ان السيدة فرنون ستأتي معكم.»

«لا، لم تحضر، قالت انها لن تتحمل مشقة الطريق.» وتابعت بحزم:«هل كل شيء جاهز؟»

«ادخلي وانظري بنفسك...» فتحت لها الباب فدخلت قليلاً ثم عادت الى سيارة الاسعاف. اقتربت ديبورا من السيدة فرنون وقالت:«تسعدني جداً رؤيتك ثانية... كما ان الكوخ رائع، اليس كذلك؟ ادخلي وشاهدي غرفتك الجميلة.»

كان من السهل جداً ادخالها الى الكوخ ووضعها في السرير... ومع أنها كانت متعبة فلقد كانت تتحرك بسهولة. اراحت ديبورا رأسها على الوسادة،ووعدتها بفنجان شاي منعش وهي تخرج من الغرفة وقالت:«الشاي حاضر للجميع، ممكن ان تقدمي الشاي بينما اساعد السيدة باحتساء فنجانها؟ هل علي الاتصال بالطبيب، مارأيك؟»

قالت الممرضة:«سأعاينها، ياعزيزتي، قبل ان نرحل. واذا كان كل شيء عادي. اعتقد عليك الاتصال به في صباح الغد. الاتخافين من بقائك معها بمفردك؟»

قالت ديبورا بثقة:«ولا لحظة، لقد كنت دائما معها، اذا كنت تفهمين ماأقصد.»

«بالطبع افهم، ها قد حضر الرجال... سيشربون الشاي. بإمكانك الذهاب لرؤية السيدة فرنون.»

كانت السيدة هادئة جداً، امسكت بيد ديبورا وضغطت عليها قليلاً، وعندما سألتها ديبورا ان كانت سعيدة

بوجودها هناك غمزت بعينيها وتمتمت بكلام يوضح سعادتها.

عادت الممرضة بعد قليل لتعاين السيدة وتأخذ ضغط دمها ولتقول لها ان لاشيء يدعو للقلق. تابعت:«كل ماتحتاجه هو نوم هادىء طويل واتصلي بالطبيب ليحضر غداً، عزيزتي.»

«هل سترجعون الليلة؟»

«نعم، علينا ذلك، لكن سنقف على الطريق لتناول العشاء.»

دخل الرجلان ليودعا السيدة، كانا مرحين ولطيفين، اخذا يتحدثان مع السيدة بلطف وربتا على كتف ديبورا بصداقة قبل ان يغادرا. وما ان غادروا حتى غرق الكوخ بالصمت ونامت السيدة فرنون قليلاً، هذا ما دفع ديبورا لترتيب الحقيبة التي أحضرت مع السيدة والى غسل فناجين الشاي. ما ان انتهت حتى سمعت رنين الهاتف، اسرعت بامساكه كي لاتوقظ السيدة مما لاشك فيه انها السيدة فرنون...

سأل السيد جيمس:«هل وصلت السيدة فرنون بسلام؟»

اجابت ديبورا غير مصدقة:«اه، هذا انت، انت لطيف جداً، لقد وصلت منذ ساعة ولقد اتت معها ممرضة.»

«هل تضايقت على الطريق؟»

«قالت الممرضة انها كانت بخير، ولقد عاينتها قبل ان ترحل وقالت لي ان اتصل بالطبيب عند الصباح.»

«اه، نعم، هل اخبرتني ماسمه...؟»

«الطبيب رايت، انه يقطن في شلنغ فورد... تلك القرية على الشارع الرئيسي في المنطقة.»

قال ببطء:«والسيدة فرنون، هل اتصلت بك؟»

«لا.»حاولت ان تضيف شيئاً لكنها لم تستطع.

«من الافضل ان تتصلي بها بنفسك. هل تدبرت امرك جيداً؟ هل انت متوترة؟»

قالت بثقة:«سنكون مرتاحتين جداً هنا، وانا لست قلقة، شكراً لك. انه لطف كبير منك ان تتصل.»

«السيدة فرنون حالة مهمة ومثيرة. عمت مساء، ديبورا.»

لم تعترف، حتى لنفسها، انها كانت متوترة للبقاء بمفردها مع السيدة العجوز... فهي لازالت بحاجة الى كثير من العناية والانتباه... لكن الان بعد ان اتصل السيد جيمس شعرت فجأة انها تملك القدرة للتعامل مع اي وضع كان.

ذهبت لترى السيدة فرنون، كانت مستيقظة، فجلست بجانبها واخبرتهاعن اتصال السيد جيمس.

اخذت السيدة فرنون تربت على يد ديبورا وتتمتم. فسألتها ديبورا:«هل هناك مايزعجك؟»

فابتسمت لها وغمزتها بعينيها وهذا ما اسعدها.

عند المساء، وبعد أن نامت السيدة فرنون، قررت ديبورا الاتصال بالسيدة الشابة التي اجابتها:«لم يكن هناك من حاجة لإزعاجنا، كان بإمكانك الاتصال صباحاً. ولاتتصلي الا اذا كان الامر طارئاً.»

وأقفلت الخط قبل ان تتمكن ديبورا من ان تسألها ما هو الامر الطارىء بنظرها.

وصل الطبيب رايت في الصباح، شاب جميل الوجه ولطيف المعشر. لم تدرك ديبورا ان السيد جيمس قد اتصل به

مساء الأمس، وبعد ان عرف عن نفسه اخبره عن حالة السيدة فرنون، واقترح عليه ان يزورها قريباً.

سعدت ديبورا كثيراً برؤيته.كان الطبيب رايت أكثر من متعاون، لقد سمع الكثير عن السيد جيمس مارلو، الذي يعتبر من اشهر الاطباء في البلد، وهذا مايحلم بالوصول اليه بنفسه. كتب بسرعة رقم الهاتف ووعد ان يتصل به كلما زار السيدة فرنون.

كانت السيدة فرنون قد نامت طوال الليل وهي حاضرة لاستقباله الآن. سوف تستقبله وهي ترتدي ثياباً نظيفة وشعرها مرتب بعناية. رأته يدخل الى الكوخ ويقدم نفسه لديبورا قبل ان يدخلا معاً الى غرفتها عبر الباب المفتوح ويقف كل واحد منهما الى جانب من سريرها.

لاشيء يجعل ديبورا فاتنة الجمال، مع ان عينيها مشعتان وبشرتها ناعمة وجميلة كبشرة الطفل، حتى شعرها، رتبته وعقصته بشريطة جميلة جعلته يبدو اكثر احمراراً. فكر الطبيب رايت انها تبدو جميلة مع انه لم يهتم ابداً لشعرها. بعد ان عاين السيدة فرنون اقترح انها تستطيع امضاء ساعة او اكثر على مقعد متحرك كل يوم لكن بعد يوم او يومين من الراحة. نظر حوله في الغرفة وتابع: «لايوجد لديك كرسي، بعد...»

قالت ديبورا:«إلا اذا اخبرتني كيف يمكنني الوصول الى الطوارىء لكي استأجر واحدة، انت تقصد تلك الكراسي التي لديها صينية أمامها.»

«هذا صحيح، واعتقد ان خلال اسبوع، اذا كان الطقس جيداً، يمكن للسيدة الخروج الى الحديقة. واعتقد انه من

الافضل ان نبدأ بالعلاج الفيزيائي، كذلك بإحضار من يساعدها على التكلم بطريقة افضل.»

تناول فنجاناً من القهوة وغادر بينما جلست ديبورا لتشرح للسيدة فرنون كل ماتحدث عنه الطبيب. وتابعت قائلة:«وسيأتي ثانية عند انتهاء الاسبوع. واعتقد انه سيرسل لك اختصاصي في العلاج الفيزيائي.»

كانت محقة، فما ان مر الاسبوع حتى وصلت اليهما سيدة على وجهها سمات الامومة والحنان... السيدة داني. وقالت انها ستحضر مرتين في الاسبوع وستساعد السيدة للجلوس على كرسيها. عاد الطبيب رايت ثانية، كما كان بائع الحليب يأتي كل الصباح. وعندما تضطر ديبورا للذهاب للتسوق كانت جارتها اللطيفة تهتم بالسيدة العجوز. وجدت ديبورا الحياة ممتعة، مع انها لم تملك الوقت الكافي لنفسها، فقط ترتاح عندما تنام السيدة فرنون. اعتقدت ان عليها التفكير بمستقبلها، فالسيدة تتحسن باستمرار وما ان تصبح بإمكانها الاعتماد على نفسها، ستعود الى منزل قريبتها، هذا ماقالته بوضوح السيدة الشابة، ولم تقل لها ان بإمكانها العودة معها، لكنها الآن سعيدة، وان كانت دائماً تعود الى التفكير بالسيد جيمس، ابعدت هذه الفكرة عن رأسها وهي تقول لابد انني متعبة...

مضى على وجودها هناك اسبوعان عندما اقترحت السيدة داني ان بإمكان ديبورا الحصول على بعض الوقت لنفسها قالت:«هناك باص ينقلك الى كينغزبريدج ولايبعد كثيراً من هنا، ويمكنني ان اتناول غدائي هنا مع السيدة فرنون. فحضري نفسك.»

استلمت ديبورا اجرتها لمدة اسبوعين، فمحامي عائلة فرنون يرسل لها اسبوعياً مالاً لمصروفها واجرتها. كانت تحتفظ بكل الفواتير لتعود وترسلها له كل اسبوع. غير مدركة ان بإمكان السيدة فرنون ان توقع على اي مبلغ يحتاجانه.

رأت بلدة كينغزبريدج رائعة في فصل الربيع، واستمتعت جداً بالتنقل من متجر الى آخر، دخلت الى مقهى وشربت القهوة بعدها اشترت ما هي بحاجة اليه وقصدت متجراً للثياب. الثياب التي لديها تناسب تماماً لكل يوم لكن ليس لديها ماينناسب لمناسبة خاصة. هذا شيء قد لايحدث، لكن لنفترض ان السيد جيمس قد اتى لزيارة السيدة، سيكون الامر رائعاً ان تبدو انيقة وجميلة...

وجدت ماتفكر به في احدى المحلات في الشارع الرئيسي، فستان بسيط من الفوال وعليه ظلال من اللون الازرق والاخضر، يبدي بوضوح خصرها النحيل وقدها الممشوق. اشترته مع انه غالي الثمن واشترت حذاء يناسبه مع انها لن ترتديه يوماً. ورغم ذلك فكرت بأنها قد ترتدي هذه الثياب لتخرج برفقة السيد جيمس.

لم يمض يوم على ذلك حتى وصل، لكن الحظ السعيد لم يكن متوفراً، كانت تجلس على الارض لتنظف المدفأة، وتضع مئزراً على ثوبها القطني، تربط شعرها الى الوراء ولاتضع اية مساحيق على وجهها. تمتمات السيدة فرنون جعلتها تستدير لتجد السيد جيمس يقف بجانب الباب، يراقبها.

تغير شعورها القوي بالفرح من رؤيته الى انزعاج، كانت

تريد ان تبدو بأفضل ما يمكن وهاهو يأتي وهي تبدو بأسوء مايمكن ان تكون عليه. نهضت ببطء وتمنت له صباحاً سعيداً بصوت بارد.

تظاهر انه لم يلاحظ ذلك قال بطريقته المعهودة والهادئة:«صباح سعيد، انني بطريقي الى ترور، ورأيت انها فرصة جيدة لأمر وأرى كيف هي السيدة فرنون.»

اشارت اليه بالدخول وقالت:«نعم،اهلاً، هذا لطف منك، انها تجلس على كرسي الآن، سأحضر لك فنجاناً من القهوة، واغسل يدي. ان السيدة تكتب وتتكلم قليلاً الآن.»

خرجت من الغرفة واسرعت على الدرج لتصعد الى غرفتها، سرحت شعرها ووضعت بعض البودرة الخفيفة على انفها.

عندما عادت تحمل القهوة وجدت ان السيدة فرنون تكتب على دفتر ملاحظاتها والسيد جيمس يجلس على جانب السرير، ويبدو انه مرتاح جداً. نهض وحمل الصينية عنها وقرب منها كرسياً قبل ان يأخذ فنجانه وقطعة من الحلوى.

قال:«تقول السيدة فرنون، ان من تقوم بالعلاج الفيزيائي لطيفة جداً.»

وقبل ان تتكلم تابع:«وماذا عن الطبيب رايت؟»

نظر اليها مطولاً مما جعل خديها يحمران خجلاً. قالت بطريقة عادية:«انه يأتي مرتين في الاسبوع، وهو لطيف جداً، كما اننا تعودنا على بعضنا.

الفصل الرابع

تمنت ديبورا لو لم تقل ذلك، إن السيد جيمس طبيباً، وليس زائراً أو صديقاً. قال بهدوء: «يسعدني سماع ذلك . لا بد انك تفتقدين لرفقة من هم بعمرك هنا. سأتصل به قريباً والآن ربما أستطيع أن أعاين السيدة فرنون.»

تصرفه المحايد أزعجها، فلقد اعتقدت أنه أصبح صديقاً لها. وقفت بجانب السرير، حيث ساعدت السيدة فرنون لتستلقي، راقبته وهو يعاينها بدقة متناهية، كانت يداه الماهرتين تلمسان المريضة بلطف ودراية. عندما انتهى قال: «ممتازة، اعتقد أن السيد رايت سيطلب لها كرسي متحرك متطور عما قريب. فالسيدة فرنون تتحسن بسرعة مذهلة.»

جلس ثانية، يصغي إلى كلامها المتلعثم ويشجعها بين الحين والآخر ببعض الكلمات، أخيراً ودع السيدة وسار برفقة ديبورا إلى الباب.

سألها: «هل تشعرين بالتعب؟ هل لديك وقت للراحة؟ تبدين شاحبة قليلاً. هل ستعودين مع السيدة فرنون عندما تعود إلى منزل حفيدتها؟»

«لا، حسناً، لاأعرف، يعتقد الطبيب رايت أن عليّ القيام بذلك، فكما ترى، إنها معتادة عليّ كما وأنني أفهم عليها . لكن اعتقد سأفعل ما يراه الطبيب بانسون

مناسباً، لأنه سيصبح هو الطبيب المناوب، كما أعتقد؟»
نظرت إليه وسألته: «وماذا عنك؟»
«لا،لا هذه زيارة كصديق. لن أحضر ثانية إلا إذا طُلب مني ذلك.»
وضعت يدها الصغيرة على ذراعه وكانت خشنة من كثرة الأعمال المنزلية وقالت: «إذاً أتمنى لك الحظ السعيد، سيد جيمس، وشكراً لك كثيراً.»
أمسك بيدها بين يديه وقال: «ماذا ستفعلين إذا كنت لن تعودي مع السيدة فرنون؟»
«أنا؟ آه... سأجد عملاً آخر.» فكرت للحظة بسنوات طوال تنتقل فيها من عمل لآخر لكنها أبعدت فكرتها بالحال.
قال مقترحاً بلطف واضح: «من المحتمل أنك ستتزوجين. يمكنك أن تكوني زوجة طبيب ناجحة.»
احمرت خجلاً فتنهد بلطف، إن الطبيب رايت شاب وسيم ولقد احمرت ديبورا خجلاً مرتين عند ذكر اسمه. لم يعرف تماماً لم شعر بهذا الحزن الغامض. أما بالنسبة لديبورا، فلم تشعر بالإضطراب بسبب الطبيب رايت، لقد اكتشفت للتو أنها إذا كانت ستصبح زوجة طبيب فهي ترغب بالسيد جيمس أن يكون ذلك الطبيب. للحظة فقط تمتعت بتلك الفكرة قبل أن تبعدها عنها للأبد وكأنها حمل ثقيل.
تمنت له حظاً سعيداً بصوت هادىء وراقبته وهو يصعد إلى سيارته ويقودها مبتعداً. لم ينظر إليها أو يلوح لها... لا يهم. انتظرت حتى وصلت السيارة إلى مفترق الطريق قبل أن تعود إلى السيدة فرنون.

نظرت إليها السيدة فرنون طويلاً قبل أن تكتب لها «حزينة» على دفترها وانتظرت كي تجيبها ديبورا.
هزت ديبورا رأسها وقالت: «لا، لا... كم هو رائع رؤية السيد جيمس ثانية، أليس كذلك؟ إنه سعيد جداً بتقدمك. لقد قال لي إنه يجدك حالة مثيرة حقاً.»
هزت المرأة العجوز رأسها ببطء. مخاوفها لم تفارقها قط، والآن أصبحت تتساءل إن كان الأخصائي مهتم أكثر بديبورا... وإن لم يكن يدرك ذلك بنفسه، بالطبع. تنهدت، فهي ترغب من كل قلبها أن ترى ديبورا سعيدة.
أقبل الصيف وأصبحت السيدة فرنون أقوى وأشد لتستطيع القيام بأمور كثيرة بمفردها. أخذت تسير خطوات عدة بمساعدة العصا. وتجعل كلامها مفهوماً عندما تتحدث ولقد كانت سعيدة جداً. كان الطبيب رايت يزورها كل أسبوع ويبقى لتناول القهوة أو الشاي، كان هو الزائر الوحيد لهما. كما أن هواء دفون المنعش والطعام الشهي الذي كانت تحضره جعلا خديها متوردين. كانت السيدة فرنون تتساءل إن كانت ديبورا سعيدة. فهي دائماً مرحة، جاهزة للتكلم، وصبورة بشكل غير معقول. لكن مما لا شك فيه أن هذه ليست حياة لشابة. هذا ما قالته للطبيب رايت بينما كانت ديبورا تحضر القهوة، عليها أن تكون مع ناس من عمرها وأن تمضي أوقاتاً سعيدة تابعت: «سأشعر بالأسى إن تركتني يوماً، لكن أتمنى، أن لا يكون هذا الوقت قريباً.»
لم تتحقق أمنيتها هذه. فبعد مرور أسبوع، وفي صباح يوم مشمس، بينما كانتا تجلسان خارج الكوخ وتشربان الليموناضة التي أعدتها ديبورا، وهي تفكر ما الذي

ستحضره للغداء. وصلت سيارة إلى الطريق الخاصة للبيت. وخرج من السيارة حفيد السيدة فرنون زوجته.

أحنت السيدة فرنون رأسها مسلمة على ديبورا وانحنت تقبل قريبتها قائلة: «لقد تلقينا تقريراً رائعاً من الطبيب بانسون... كان الطبيب رايت يرسل له تقريراً أسبوعياً عن حالتك الصحية... لذلك قررنا انك أصبحت بصحة جيدة كي تعودي إلى المنزل. لقد حضرت لك غرفة في الطابق الأرضي وتعاقدت مع ممرضة قديرة لتهتم بك. الحديقة الآن رائعة جداً كما تعلمين، وستسعدين جداً بالجلوس فيها.»

قالت العمة:«لا.» وبسبب إنزعاجها العميق، أصبحت تتمتم بكلام غير مفهوم. فقط ديبورا فهمت عليها كم هي مستاءة فتولت تدبير الأمر بنفسها.

لم يلاحظ أحد متى انسحبت إلى داخل الكوخ واتصلت بالطبيب رايت، قال: «سأكون بقربك بأقرب وقت ممكن.» عادت إلى الخارج ثانية. وقالت: «هل ترغبان بكوب من الليموناضة أم تفضلان القهوة؟»

قالت السيدة فرنون من غير أن تنظر إليها: «القهوة، وسنشربها في الداخل.» نظرت حول الردهة المليئة بالأكواخ وتابعت: «أعتقد أنه يوجد الكثير من الجيران الفضوليين.»

سارت إلى الداخل وجلست في غرفة الجلوس وبعد لحظات تبعها زوجها وهو يقود كرسي عمته. كانت السيدة العجوز صامتة الآن لكن حفيدتها بدأت الكلام بتملق واضح: «لقد أحضرنا لك كرسي متنقل، عمتي، يمكنك الذهاب إلى أي مكان تريدينه. كما أن، الآنسة غرانت، المرأة التي

استخدمتها لك، شابة قوية ولديها خبرة كبيرة.» توقفت عن الكلام عندما دخلت ديبورا تحمل صينية القهوة وبعدها غادرت لتحضر أكواب الليموناضة من الحديقة. لم تقل ولا كلمة، فلا يوجد ما يقال، لكن الطبيب رايت ستكون له الكلمة الأخيرة. وصل على الفور، سلم على الزوار بفرح، شرب القهوة وجلس بجانب المرأة العجوز.

بدأت السيدة فرنون الشابة بغرور: «اخبرنا الطبيب بانسون انه من رأيك بأن عمتي قد اصبحت جيدة بما يناسب الى ان تعود الى منزلنا، وبناء على ذلك لقد قمنا بالترتيبات المناسبة... جهزنا لها غرفة توصل الى الحديقة، ولقد تعاقدنا مع ممرضة كما اننا احضرنا لها كرسي متنقل كي تشعر بالراحة عندما تريد الخروج.»

لم يجد الطبيب رايت اي سوء في كل ما قالته وكل الذي قاله انه كان يفضل ان يعلم بقراراتهما من قبل وتابع:«اعتقد انك لا ترغبين في إعادتها معك اليوم؟اخشى ان لا اسمح بذلك.انها رحلة طويلة،وعليها العودة بسيارة الإسعاف.كما علي أن اعاينها بدقة قبل رحيلها.»

«بالطبع،لا نية لنا مطلقاً باعادة السيدة فرنون معنا اليوم.هل توافق ان تحضر سيارة الإسعاف بعد عدة ايام؟سأحضر الممرضة التي سترافقها معهم.انها شابة قديرة جداً.»

سأل الطبيب رايت:«وماذا بشأن ديبورا؟»

«يمكنها البقاء لبضعة ايام لتقفل المكان.انني متأكدة انها ستشعر بالسعادة اكثر ان وجدت عملاً مع اشخاص من عمرها.»نظرت الى ديبورا وتابعت:«اريد ان تحضري لها

كل اغراضها،ستأخذها السيارة معها،فليس هناك من حاجة لتعودي معها.»

قالت ديبورا:«هل ترغب السيدة بالرحيل؟»

«بالطبع تريد ان تعود الى بيتها ثانية،كما وانها لن تكون بخير ان تعلقت بك اكثر.»ضحكت بعصبية قبل ان تتابع:«لا يمكننا ان ندعها تضع مستقبل العائلة بعيداً عنا،اليس كذلك؟اعتقد انك قمت بما فيه الكفاية وانت بمفردك معها هنا.»

ضحكت ثانية كي يعتقد من يسمعها انها كانت تمزح لكن كلماتها غرقت في الصمت الذي قطعته ديبورا وهي تقف غاضبة.

قالت:«هذا شيء بغيض ما قلته،سيدة فرنون، كما انه قاس جداً ايضاً،حتى ولو قصدته كنوع من المزاح...»

توقفت، لتتنهد بقوة بعد ان اصبحت شاحبة،وتابعت:«ستكون السيدة فرنون جاهزة عندما تحضر سيارة الإسعاف.»

احمر وجه السيدة فرنون من الإرتباك وقالت:«ستفعلين ذلك،حسناً سنذهب،يمكنني القول،ستحتاج عمتي للراحة،بعد كل هذا الحديث المضطرب.»

قبلت خد عمتها وقالت:«نحن نتطلع بشوق لنراك ثانية في منزلك. ستعجبك جداً غرفتك...»

صافح السيد فرنون ديبورا وشكرها قائلاً:«علي الإعتذار عن زوجتي،احياناً تقول كلمات لا تعنيها مطلقاً.»ثم صافح الطبيب رايت،قبل عمته وخرج الى السيارة وغادرا بسرعة.

قال الطبيب رايت:«لم نتوقع حدوث ذلك.كنت ارغب ان تقضي فترة نقاهة اطول.لكن، يبدو ان كل شيء قد انتهى.»نظر الى ديبورا وتابع:«مع ان الأمر سيبدو مزعجاً لك،طالما ان السيدة الشابة لا تريدك. سيكون من الأفضل لكما ان تبتعدي الآن.»

حافظت ديبورا على رباطة جأشها وحاولت التكلم بصوت مرح:«آه،اتوقع ان هذا اروع ما سيحدث، لأن السيدة فرنون ستشعر بالسعادة في غرفتها الجديدة قرب الحديقة.»امسكت بيد السيدة العجوز وقالت بفرح:«ستفرحين كثيراً برؤية اصدقائك ثانية.»

غادر الطبيب رايت بعد ان اخبر ديبورا انه سيحضر غداً لمعاينة مريضته وليتأكد انها تستطيع السفر وتحمل الرحلة.فقط بعدما غادر الطبيب انحدرت دمعتين على خدي السيدة فرنون.

مسحت ديبورا دموعها وقالت لها بهدوء:«لا ترغبين في العودة،اليس كذلك؟لكن كل هذا لأنه حدث فجأة. سوف نتحدث عن الموضوع غداً.الآن سأخرج لأحضر الغداء وبعد الظهر سنذهب في نزهة في القرية وربما سندعو الجيران لتناول الشاي غداً؟ لقد كانوا جميعاً لطفاء ومحبين.»

تمتعت السيدة فرنون بكلام غير مفهوم فأسرعت ديبورا واحضرت لها قلماً وورقة.

كتبت السيدة العجوز بيد مرتجفة:«وماذا عنك؟»

«سأبقى هنا اليوم او اكثر لأغلق الكوخ وبعدها سأعود الى بيتي لمدة اسبوع او اسبوعين.»

تمتمت العجوز:«بيتك؟امك وابوك؟»

قالت ديبورا بفرح:«بل اخ واخت، نحن نعيش في هامبستد.»ارغمت ديبورا نفسها على الكذب لتشعر السيدة فرنون بالراحة والفرح وهذا ما ظهر على وجهها.تابعت:«ستأتي السيدة داني عند الصباح،اليس كذلك؟سأستغل الفرصة للذهاب الى كينغز بريدج.فأنت بحاجة الى اغراض وانا كذلك.»

بعد تناول الغداء دفعت ديبورا السيدة فرنون على كرسيها للتجول في القرية،ولتتوقف عندما ترى احدا لتخبره انهما مغادرتان في الأيام القليلة المقبلة. بعد مضي ساعة من الوقت عادت الى الكوخ لتريح السيدة وتغادر مسرعة لدعوة الجيران الى الشاي في الغد.

حضر الجميع، فهم اناس طيبون وقد قدموا الكثير من اللطف والمساعدة لهما.شعروا بالسعادة لأن السيدة فرنون اصبحت بخير وتستطيع العودة الى منزلها،واكد الجميع ان بإمكان ديبورا ايجاد عمل لها بدون ادنى عناء.

قالت ديبورا وهي تنظر الى السيدة انها ستعود الى منزلها لعدة اسابيع، وهذا ما جعل الكل سعيداً، لأن الجميع يحبها،وانتهت حفلة الشاي بفرح واضح.

وصل الطبيب رايت مباشرة بعد عيادته الصباحية.وقال ان مريضته بصحة جيدة وتستطيع الرحيل،سأل ديبورا وهو يغادر ان كانت قد وجدت عملاً لها وتابع:«اشعر انني السبب في تركك عملك، ماذا ستفعلين؟»

قالت له:«سأذهب الى كنغزبريدج عندما تحضر السيدة داني، ولقد رأيت عندما كنت هناك عدة طلبات للعمل على واجهات المحلات وفي الفندق حيث تناولت القهوة.فالجميع

يطلب عمال لساعات معدودة.لقد اعجبني المكان هنا،وسأبقى الى ان ينتهي الصيف.»

سأل باهتمام:« هل لديك منزل تعودين اليه؟» فأكدت له ان لديها عائلة ايضاً.

بعد الظهر درست كل تلك الطلبات بعناية.فقط واحد من كل تلك الطلبات يؤمن لها مكاناً للإقامة.فالفندق صغير، يشرف على النهر الكبير ويصل اليه المرء عبر طريق صغير من وسط المدينة.ويبدو مريحاً،هذا ما فكرت به وهي تطلب من موظفة الاستقبال ان تقابل المسؤول.

كان رجلاً عجوزاً وتبدو عليه ملامح المسؤولية. اجابت على اسئلته بطريقتها المعهودة الهادئة،وقدمت اسم الطبيب رايت كمرجع لها، قال لها ان العمل مؤقت ولا يدوم اكثر من ستة اسابيع،وان عليها ترتيب الأسرة،تساعد في المطبخ وفي الغسيل، ومساعدة كل من يحتاجها.ستشارك فتاة في غرفتها وعندما ذكر لها الأجرة شعرت انه كريم جداً.كما انها ستحصل على يوم راحة كل اسبوع.وقال محذراً،ان ساعات العمل، طويلة جداً.

قال لها ان كفلها الطبيب بانسون فبإمكانها البدء بالعمل بعد ثلاثة ايام.

عادت الى ساوث بول وقد دفعت مصيرها الغامض والاسود بعيداً عنها ولو لفترة، فستة اسابيع كافية لتقرر ماالذي ستفعله كما انها ستوفر مالاً بقدر ما يمكنها.

وجدت السيدة فرنون سعيدة عند عودتها وكانت السيدة داني لاتزال برفقتها. عرضت ديبورا عليهما مشترياتها، وقدمت الشاي بعدها غادرت السيدة داني. امضت فترة بعد

الظهر وهي توضب اغراض السيدة فرنون بينما كانتا تتحدثان بفرح وسعادة. لقد تخطت السيدة صدمة الرحيل، واخذت تتحدث عما ستفعله بعد عودتها لذلك كانت ديبورا تضطر للوقوف عن العمل لتجلس بقربها وتتحدث معها. كانت لاتزال تتحدث بصعوبة، لكنها تمنت على مرافقتها الجديدة ان تكون صبورة معها...

اتصلت السيدة فرنون الشابة ذلك المساء واخبرتها ان سيارة الاسعاف ستحضر في منتصف النهار وعلى ديبورا ان تجهز السيدة لأنها ستغادر على الفور. اقفلت السيدة بدون ان تسمع اي ردٍ.

كانت ديبورا قلقة في صباح اليوم التالي، حضرت السيدة بثياب نظيفة ومريحة كي ترتديها لرحلة العودة في سيارة الاسعاف. اعطتها فنجان الشاي ودعتها تجلس على الكرسي بينما اخذت تحضر غداء باكراً. كما حضرت ابريق من الشاي لسائق سيارة الاسعاف. التي وصلت في الوقت المحدد ووقفت امام الباب.

كانا الرجلين اللذين احضراها سابقاً وبرفقتهما شابة خرجت معهما من السيارة ودخلت الى الكوخ وهي تبتسم.

صافحت السيدة فرنون وعرفت عن اسمها ماغي بعدها نظرت الى ديبورا وقالت:«كم هو جميل المكان هنا، سيزعجك الرحيل كثيراً، لكن قالت لي السيدة فرنون ان لديك عمل افضل ترغبين الالتحاق به. سنرحل على الفور لكنني سأكون ممتنة لك اذا اعطيتني شيء أشربه...»

قالت ديبورا:«بالطبع، فالابريق على النار... والجميع سيرحب بكوب من الشاي.» احضرت ديبورا الصينية، وهي

تشعر بالارتياح فتبدو ماغي الشخص المناسب للاهتمام بالسيدة العجوز، كما انها قوية كفاية لتتصدى لحفيدة السيدة ايضاً.

تناول الجميع الشاي وهم يتحدثون بينما ودعت ديبورا السيدة فرنون بفرح وقد وعدتها ان تراسلها دائماً، كما انهاستزورها عندما تمر بالقرب من منزلها. بعدها تأكدت من أنها مرتاحة في السيارة وقفت تراقب سيارة الاسعاف وهي تبتعد.

عادت الى الكوخ وجلست على اقرب كرسي واخذت تبكي بدموع غزيرة. بعدها، نهضت، غسلت وجهها واخذت تنظف المكان، عليها ان تقفل الكوخ. نزعت اغطية السرير كي تغسلها، كذلك اغطية الطاولات. رتبت كل شيء مكانه ثم نظرت في حقيبة ثيابها التي احضرتها ماغي. وجدت كل ما لديها، لكن لم يكن هناك الكثير بكل الاحوال.

امضت بقية النهار وهي تنظف وترتب الكوخ واخيراً تناولت عشاءها وذهبت الى السرير. كان هناك الكثير بعد لتقوم به قبل ان تغادر وتلتحق بعملها الجديد.

كانت تشعر بالتعب الشديد عندما اقفلت الكوخ للمرة الاخيرة وغادرت لتلتحق بالباص الذي سينقلها الى كنغز بريدج. كان الجيران لطفاء جداً معها. وقد اصروا عليها لتناول العشاء عندهم او امضاء ليلة اذا ارادت ذلك. قالت لهم ان لديها عمل عليها الالتحاق به لكنها لم تقل اين، والان هاهي تحمل بيديها حقيبتين الى الشارع الرئيسي لتستقل الباص.

تذكرت ان تدخل عبر الباب الجانبي عندما وصلت الى

الفندق، هناك قابلت امرأة قالت لها انها المدبرة للفندق واخذتها الى غرفتها كي ترتدي معطفاً من النايلون وتنزل الى الطابق الارضي كي تستلم مهامها.

بقيت لوحدها، تنظر في الغرفة الموجودة في الطابق العلوي وفيها نافذتين عليهما ستائر بسيطة جداً، سريرين على كل جانب من الغرفة وخزانة، طاولة صغيرة وحولها كرسيين. رأت أيضاً سجادة على الارض ورف للكتب. لم توضب ثيابها بل ارتدت المعطف، وتأكدت من ترتيب شعرها وعادت الى الطابق الارضي.

اكتشفت ان عملها كثير، فهي ليست مسؤولة عن عمل محدد، فعليها معاونة كل من يكون لديها وقت فراغ. نظرت اليها مدبرة الفندق بنظرة ثابتة وقالت:«سيكون لديك يوم عطلة، بالطبع. يبدأ العمل عند الساعة السابعة صباحاً وسيكون لديك ساعة فراغ بعد الظهر وينتهي الدوام عند العاشرة ليلاً الا اذا كان هناك حالة خاصة.»

سمعت ديبورا كلامها بهدوء. علمت انها ستعمل كثيراً لقاء أجرها لكن هذا هو سبب وجودها هنا، اليس كذلك؟ حملت الوعاء الذي يضم قطعة قماش لتنظيف الغبار، الدواء والفرشاة. ستعاين مدبرة الفندق عملها عند الساعة الحادية عشرة عندما يسمح لها بعشرة دقائق من الراحة كي تتناول الشاي.

كانت الفتاة التي تشاركها الغرفة... مايسي، فتاة رائعة.وتوحي بالقوة والنشاط، كما بدا عليها انها ترغب بصداقة ديبورا. لكن ديبورا كانت متعبة لدرجة انها نامت على رغم من شخير مايسي المقلق.

صباح اليوم التالي ايقظتها مايسي بمرح مما جعل ديبورا تشعر بالراحة قليلاً، نهضت وارتدت ثيابها، لم يكن هناك من حاجة لوضع المساحيق على وجهها، او تسريح شعرها بشكل مرتب، لذا عقصته الى الوراء، اخذت صديقتها تستعجلها، فنزلت الى المطبخ، حيث حضرت احدى العاملات ابريقاً من الشاي. وبينما كانت تشرب فنجانها اخبرتها ماالذي عليها القيام به عندالصباح. كانت الاعمال كثيرة ومختلفة لكن ديبورا قالت لنفسها انها ما ان تتعلم كيف تعمل حتى يسهل الامر عليها. حضر فطور المقيمين في الفندق على صواني، كذلك القهوة والشاي وعندما انتهى الجميع من العمل بدأوا بتناول فطورهم، هناك علمت ديبورا ان مايسي تعمل في الفندق اربعة ايام فقط. قالت لها:«هكذا تصبح الغرفة لك وحدك عندما اعود الى بيتي.» وتابعت محذرة:«لكن عليك احضار ساعة بجرس كي توقظك.»

ما ان اقبل يوم عطلتها، حتى شعرت ديبورا انها كانت بانتظاره. كانت قدماها تؤلمانها من كثرة الذهاب والاياب بين عمل وآخر مع انها تعودت على العمل الطويل والشاق طوال النهار. لم تكن ساعة الفراغ بعد الظهر تكفي للذهاب الى التسوق، كما انها كانت ترغب فقط في خلع حذاءها والاستلقاء طوال فترة الصباح.

بعد الظهر، قررت ان تستغل يومها جيداً. ذهبت الى مصفف الشعر حيث رتبت شعرها وشعرت بالرضى عن نفسها، فامضت بعض الوقت لتختار احمر الشفاه وعلبة بودرة بعدها تناولت القهوة واكبر قطعة حلوى وجدتها. بعد ذلك تجولت في المدينة تراقب المحلات والازياء،

احبت ان تشتري قميصاً وتنورة لكن مع مستقبل غامض كمستقبلها لم تجرؤ على انفاق المال سدى. ربما قبل ان ينتهي عملها هنا ستتمكن من شراء بعض الثياب الانيقة لها...

تناولت غداءها في احد المقاهي ثم اشترت بعض الحاجات الضرورية كشامبو للشعر ومعجون للاسنان، لم تدر الى اين ستذهب، فما زال المساء بعيداً، اشترت علبة من البسكويت، جريدة محلية ومجلة لتجد بعض عروض العمل فيها، وعادت الى غرفتها. لم تكن مايسي هناك، لقد عادت الى بيتها بعد انتهاء ايام عملها لذلك بامكان ديبورا ان تستعمل الحمام كما تشاء، استلقت في المياه الساخنة لفترة طويلة، بعدها ارتدت ثياب النوم وجلست تقرأ وتأكل البسكويت.

لكنها لم تقرأ لفترة طويلة، فقد اخذت تفكر بالسيد جيمس، بالطبع هي تفكر فيه طوال النهار وكل نهار لكن للحظات فقط، فمعظم الاوقات لديها ما يشغلها لكن الان سمحت لنفسها ان تتذكر كل شيء سمعته منه، صورته الجميلة في مخيلتها، اعتقدت انها مع الايام ستنساه، لكن الان مستحيل. فكرت بحزن انه، مما لاشك فيه، قد نساها ومنذ فترة طويلة.

لقد كانت مخطئة، لم ينسها قط، كان يتخيل صورتها ولون شعرها وعيناها المشعتان اللتان تظهران له على صفحات الكتاب الذي يقرأه او بين اوراق دفتر المعاينة الذي يتفحصه. فكر بقلق، أمر مؤسف انه لم يتمكن من الذهاب الى ساوث بول ليرى كيف هي السيدة فرنون. لقد

تلقى تقريران من الطبيب رايت... يحدثه فيهما عن تحسن حالتها، لكنها، بكل الاحوال، ليست مريضته، كما ان الطبيب بانسون اخبره انه سيعلمه عن اية تطورات جديدة.

من المفترض انه عاجلاً ام آجلاً ستعود ديبورا والمرأة العجوز الى تلك الغرفة المظلمة في الطابق العلوي. وهذا أمر مزعج حقاً، فكر بغضب، يمكنه ان يتصل بالطبيب بانسون ليحصل على معلومات جديدة... دخلت موظفة الاستقبال لديه فتخلى عن فكرته في الحال.

كان قد مضى على ديبورا في عملها الجديد ثلاثة اسابيع عندما وصلته رسالة من الطبيب رايت. ذهب باكراً الى عيادته لأنه كان يرغب في انهاء مقالة لنشرها في جريدة طبية، عندما دخلت السيدة فوغ، موظفة الاستقبال لديه، تحمل بيدها البريد.

قالت بفرح:«ليس لديك الكثير، لقد اخذت الفواتير والمعاملات المالية كذلك اتصلت السيدة ستون لتقول انها ستحضر اليوم بدلاً من الغد.»

كانت السيدة فوغ تعمل لديه منذ سنوات، تابعت قائلة:«لديك عمل في المستشفى عند الظهر وستبقى هناك طيلة النهار.»

وضع السيد جيمس القلم من يده وقال:«آليس، لاادري ماذا كنت افعل بدونك. استعملي ذكاءك لتغيير رأي السيدة ستون. يمكنك ذلك؟ فليس هناك من حاجة لرؤيتي ثانية بكل الاحوال.»

لم تقل السيدة فوغ شيئاً. فالسيدة ستون تلاحقه، امرأة سخيفة. امر مؤسف انه لم يتزوج بعد... كل

الاختصاصيون في الطب يحتاجون الى زوجات والى عدد من الاطفال، عند ذلك تتوقف النساء، كالسيدة ستون، من ملاحقاتهم.

قالت وهي ترجع الى مكتبها: «سأفعل مابوسعي.»

تركته مع رسائله، الذي اخذ يقرأها بكسل. كانت الرسالة الاخيرة من كينغز بريدج فتح الرسالة ونظر الى التوقيع بعدها تأكد انها من الطبيب رايت قبل ان يبدأ القراءة. قرأها بسرعة وبعدها اعاد قراءتها ثانية. اعتقد الطبيب رايت انه قد يرغب بالاطلاع عما حدث، كتب له قائلاً: «مع انك ستعلم من الطبيب بانسون ان السيدة فرنون قد عادت الى منزل حفيدتها.» واضاف معلومات اعتقد انها قد تثير اهتمام السيد جيمس وركز كثيراً على استعادة السيدة فرنون صحتها بشكل افضل. لم يذكر ديبورا مطلقاً.

امسك السيد جيمس بالهاتف، قال: «آليس؟ اتصلي بالطبيب بانسون؟ هل لديك رقم هاتفه؟»

قالت السيدة فوغ بكبرياء: «بالطبع، سيد جيمس.» بعد مرور دقيقة رن الهاتف بجانبه، كان الطبيب بانسون مريضاً، هذا ما اخبر به الصوت قائلا انه الطبيب جيكنز والذي يتولى مهام الطبيب بانسون كي يشفى، وسأل كيف باستطاعته ان يخدمه؟

تابع الصوت قائلا بناء على طلب السيد جيمس: «نعم، بالطبع، لقد زار السيدة فرنون التي تعيش مع حفيدتها وهي تتحسن باستمرار وتبدو سعيدة ومرتاحة. كما ان لديها ممرضة قديرة ولاتتعب ابداً. حفيدتها تقول انها لاتدري ماذا تفعل بدونها...»

«اه، نعم... فتاة شابة ذات شعر احمر.»

«لا،لا، ماغي امرأة قوية البنية، شعرها اسود اذا كنت اتذكر تماماً. هل انت مهتم بحالتها؟ اتريد تقريراً خطياً؟ سيغيب الطبيب بانسون لأسبوع او اكثر.»

قال السيد جيمس، لا، ليس هناك من حاجة، قال انه يسأل بدافع شخصي، اضاف انه يشكره كثيراً واقفل الهاتف. نظر الى ساعته... لديه خمس دقائق بعد قبل ان يستقبل مريضه الاول. «آليس؟ اتصلي الطبيب رايت، يمكنك ذلك؟ ساوت بول... لا فكرة لدي عن عنوان او رقم الهاتف.»

بدا الطبيب رايت سعيداً جداً بسماع صوته، قال: «لقد وصلتك رسالتي، سيدي؟ اعتقدت انك ستهتم بمعرفة التفاصيل عن حالة السيدة فرنون الصحية.»

وافق السيد جيمس بهدوء، وتبادل مع تلميذه بعض التفاصيل الطبية وسأل بطريقة عادية: «الفتاة التي كانت تهتم بها... هل عادت الى المنزل مع السيدة فرنون؟ لقد كانت تحبها كثيراً.»

«ديبورا؟ لا... لقد تلقت رسالة من حفيدة السيدة فرنون تقول لها انها استخدمت غيرها للاهتمام بالسيدة فرنون. بقيت ديبورا هناك لتقفل الكوخ كما رغبت بالبقاء في المنطقة. اعتقد، انها وجدت عملاً. شابة حساسة وقديرة.»

شعر السيد جيمس بالغضب. قال بعض الملاحظات العادية، وعبر عن رغبته بلقاء الطبيب بانسون عما قريب واقفل الهاتف. لم يكن هناك مايستطيع فعله، بالطبع، لكنه لم يشعر انه مرتاح من مجرد التفكير ان ديبورا بدون اصدقاء وبدون مهارة علمية او عملية، يائسة تبحث عن عمل، «ربما

ستعمل عند اشخاص ولامستقبل لديها.» تمتم ذلك بيأس وضغط على الجرس في مكتبه ليعلم السيدة فوغ انه جاهز.

كان منغمساً جداً بعمله ولم يستطع ان يفكر بها مطلقاً، بعدما رأى آخر مريض لديه في المستشفى. صعد الى سيارته وقاد المسافة القصيرة الى بيته، بيت قديم في شارع هادىء بالقرب من هارلي ستريت. كان الباب مفتوحاً ماان خرج من السيارة حتى تمنى له الرجل الوقف بجانب الباب مساء سعيداً واضاف ان المطر لن يتوقف كما يبدو.

ربت السيد جيمس على كتفه وهو يمر امامه الى الداخل قائلاً:«سيسعد المزارعون بذلك،يادوبس، قد اتغيب ليومين في نهاية الاسبوع... لكن سأعلمك بذلك.»

توقف ليتلقى هجمة من كلبه الذي قفز مرحباً به:«حسناً، بليوم، اعطني خمس دقائق.» وضع يده على الكلب بلطف فابتعد الكلب قليلاً وهو يلهث.

سار الحيوان امامه عبر القاعة حتى وصل الى مكتب السيد جيمس، غرفة مريحة في داخلها مكتب كبير تحت النافذة. امامه كرسيين من الجلد قرب المدفأة وطاولة بجانب الحائط عليها ملفات وآلة طباعة.

جلس السيد جيمس وراء المكتب، لقد كان يومه طويلاً وهو متعب جداً لكنه قرر ماعليه ان يفعل. قال مخاطباً بليوم:«الفتاة المتعبة، لكنني استطيع القول انها تستطيع تدبر أمرها بشكل جيد.»

صعد الى الطابق العلوي وبليوم يسير بين رجليه على الدرج الانيق، جلس على السرير بينما معلمه قد استحم وغير ثيابه. عادا الى الطابق الاول حيث غرفة الطعام، هناك

قدم دوبس الطعام باهتمام وكبرياء. انهى السيد جيمس طعامه، نهض وهو يقول:«ارجوك اخبر السيدة دوبس ان الطعام كان شهياً. كم هي طاهية ماهرة.»

ابتسم دوبس بتكلف وقال:«هكذا هي، سيدي، سأعلمها بذلك.»

جلس السيد جيمس في غرفة الجلوس قرب النافذة الفرنسية التي تطل على حديقة المنزل الصغيرة وراء المنزل. نهض السيد جيمس ثانية وذهب الى مكتبه وامسك بالهاتف.

«بات؟ كيف حالك أنت وروجر والاطفال؟ هل تعرفين احداً بحاجة لمن يساعده مع الاطفال او نساء اورجال متقدمين في السن او شيء من هذا القبيل؟»

ضحكت المرأة على الطرف الآخر من الهاتف وقالت:«جيمس، لاتضيع دقيقة في محادثة جانبية، اليس كذلك؟ لن تخبرني شيئاً حتى ولو سألت لكن هناك أمور يجب ان اعرفها. كم تبلغ من العمر، وهل هي جديرة بالثقة، هل تتحدث اللغة بجدارة...؟»

«انها في العشرين من عمرها، كما اعتقد، مثقفة، حساسة، صبورة وتعمل بجدارة.»

«هل تعطيها توصية؟»

«بالطبع.»

«اذاً قد استطيع مساعدتها، لقد أجبرت لوثي سوميز على إستضافة عمها العجوز بسبب غياب إبنته، الذي يعيش معها. انت تعرف لوثي، انها تحاول جاهداً ان تبقي عمها سعيداً ومرتاحاً. هل اتصل بها واخبرك؟»

«من فضلك... وفي اسرع وقت ممكن.»

قال الصوت:«انني أخت جيدة.» وقبل ان تقفل قالت:«هل هي جميلة، ياجيمس؟»

قال:«شعرها أحمر ولاتثير الانتباه لدى رؤيتها.» ووضع السماعة من يده.

قال مخاطباً بليوم:«مهما يكن، فإن لديها أجمل عينان رأيتهما في حياتي.» وامسك بدفتر مواعيده.

* * *

ترك منزله باكراً جداً صباح السبت مع بليوم وتذمر دوبس من الطقس السيء يملأ اذنيه. ماان انتهى من المدينة، حتى قاد بسرعة اكثر، توقف ليشرب القهوة وليتناول غداء متأخراً، غير مبال بكثرة السيارات التي تسير بسرعة لتصل الى مكان تمضي فيه عطلتها قبل انتهاء الصيف. وصل الى ساوث بول بعد الظهر وتابع حتى وصل قرب الكوخ. رأى المرأة البدينة التي تعيش بالكوخ المجاور تقف امام الكوخ قبل ان يتمكن من الخروج من السيارة.

قالت له:«لقد رحلتا... لقد اتيت الى هنا من قبل، اليس كذلك؟ لقد مر على ذهابهما اكثر من ثلاثة اسابيع. لقد حزنت كثيراً اذا اردت ان تعرف، تاركة تلك الفتاة الصغيرة بهذه الطريقة... لقد تضايقت المرأة العجوز ايضاً.»

فتح السيد جيمس الباب لبليوم وقال:«هل قالت ديبورا الى اين ستذهب؟»

«لا، فقط اقفلت الكوخ كما طلب منها وغادرت الى كينغزبريدج في الباص، لقد قالت انها ستلتحق بعمل بعد

ظهر ذلك اليوم.» توقفت قليلاً قبل ان تتابع:«انتظر قليلا، السيدة كروفت، التي تعيش في الجهة المقابلة قالت انها رأتها تنظف النحاس على باب احد الفنادق.»

نظرت اليه مفكرة وقالت:«تريد ان تراها، اليس كذلك؟» وعندما احنى رأسه موافقاً بطريقته المعهودة اضافت:«تعال لنرى ان كانت في الداخل.»

كانت السيدة كروفت متأكدة تماماً انها ديبورا. قالت:«شعرها المميز، كما تعلم، كان ذلك في الاسبوع الماضي. صعدت في الباص وهناك وجدتها. انه فندق صغير امام النهر مباشرة... لايمكنك الا ان تراه.»

قال بصوت لطيف وهادىء:«لقد اسديت لي خدمة جمة وانا ممتن لك كثيراً.»

قالت المرأة البدينة:«حسناً، اعتقد انها بحاجة فعلاً للأصدقاء. هل ترغب بشرب فنجان من الشاي؟»

«ارغب برؤية ديبورا في اسرع وقت ممكن، لكن ربما بمناسبة اخرى؟»

صعد الى سيارته ولحق به بليوم على الفور وجلس بجانبه. قالت السيدة كروفت ماان غادر:«هناك رجل بانتظارك ياديبورا.»

الفصل الخامس

وقف السيد جيمس امام الباب الرئيسي في الفندق يراقب ديبورا وهي تنظف الزجاج. كانت تقف على كرسي، طالما ان الرف الثقيل عالٍ جداً عليها. نظر اليها للحظات قليلة قبل ان يتكلم، بصوت عادي وهادىء.

«اي فتاة متعبة انت، تختفين بدون اي كلمة او اثر، حتى ولا تخبرين احداً الى اين ستذهبين.»

تفاجأت ديبورا كثيراً، فكادت ان تقع عن الكرسي، أسرع الى الاقتراب منها وامساكها كي لا يقع الزجاج من يدها اخذه ووضعه على الطاولة امامها.

قالت بغضب: «كنت سأكسر هذا اللوح من الزجاج، انهم يحسمون ثمنه من اجرة عملنا.» لم تكن لتسمح للفرح الكبير الذي شعرت به لرؤيته ثانية ان يظهر عليها. «لما عليَّ ان اخبر احداً الى اين سأذهب؟»

تراجعت قليلاً،لأن الوقوف بقربه يزيد من اضطرابها،وبما انه بقي صامتاً.اضافت:«هل تريد البقاء هنا؟لقد ذهبت موظفة الاستقبال لتتناول الشاي. سأذهب لإرسالها لك.»

ابتسم لها،ابتسامة حنونة مما جعل قلبها يضطرب قليلاً قال: «لم احضر الى هنا لأبقى. لقد طُلب مني ان اجدك واقدم لك عملاً - صديقة لأختي. كما أنه عليَّ القول، انني امضيت وقت طويلاً أبحث عنك.»

قالت بكبرياء: «انني اعمل هنا.»

كان يسخر منها وهو يقول: «تعملين في المطبخ؟ ولأيام فقط؟» شعرت بالألم.

«انني أعمل في الغرف واساعد احياناً عندما يترك احداً عمله ليرتاح.»

نظر اليها وهو صامت لفترة. كانت تبدو نحيلة جداً بثوبها الفضفاض، ووجهها خال من اية مساحيق وشعرها مربوط على رأسها. فكر بضيق ان لا سبب لديه ليأتي الى هنا. فلقد وجدت عملاً، تبدو يائسة ووحيدة لكنها ستتغير بالطبع ان صففت شعرها ورتبت وجهها. لكن مهما يكن بإمكانها ان تتولى أمر نفسها بأي عمل. انه يهتم بها بدون اي سبب.

وضعت يدها لتبعد شعرها وتضعه وراء اذنها فأدرك انه لا يزال مهتماً لها.

قال: «هذا العمل ...ان كان لديك دقيقة من الوقت لتسمعي؟ صديقة لشقيقتي - لديها عم يعيش معها - يبلغ من العمر الثمانين وهو عصبي جداً. لديها طفلين ومنزل كبير وهي بحاجة للمساعدة جداً. يمكنني ان اضيف انها لا تشبه مطلقاً السيدة فرنون. وتدعى لوتي سوفير، في الثلاثين من عمرها، ولداها جميلان كذلك زوجها لطيف جداً. هناك الكثير من الخدم في المنزل وليس هناك من داعٍ لتنظيف الزجاج.»

بالنسبة الى ديبورا، المتعبة من كثرة الطلبات عليها وامامها وقت طويل ايضاً لحلول وقت الراحة، شعرت انه عرض كالحلم قالت: «لكنني لا استطيع ان اترك عملي...»

«انت تعملين هنا بصورة مؤقتة؟» وعندما احنت رأسها

موافقة، قال: «هل ستتركين الأمر لي وتذهبين الى لوتي؟ انها حقاً جيدة ولطيفة لكنها ليست منظمة كفاية.»

«لن يدعني ارحل...»

ابتسم السيد جيمس وقال: «اين هو ذلك الرجل؟ هل هو المدير المسؤول؟»

«سيكون في مكتبه. انه في ذلك الممر بالقرب من مكتب الاستقبال.»

انهت ديبورا تلميع الزجاج وكانت تنظف طاولة الاستقبال عندما رجع السيد جيمس. قال بهدوء: «لقد انتهى الامر، كم تريدين من الوقت كي تتمكني من توضيب حاجاتك؟»

حدقت به وهي تفتح فمها: «اوضب حاجاتي؟»

نظر الى ساعته وقال: «نصف ساعة؟ سأنتظرك هنا.»

«نعم، لكنني في منتصف الاسبوع - ومن المفترض ان اقدم ملاحظة عن ترك العمل قبل اسبوع، لا يمكنني فعل ذلك...»

«بالطبع يمكنك، لقد كان المسؤول متفهماً جداً.»

«ما الذي قلته له؟»

ابتسم ابتسامة صغيرة وقال: «اسرعي ووضبي اغراضك ومري على المكتب كي تقبضي راتبك السخيف.»

ذهبت لأنه لم يكن هناك شيء آخر تفعله، وبعد مرور نصف ساعة، عادت الى قاعة الاستقبال، لتجد السيد جيمس والمسؤول يجلسان معاً ويتكلمان بود وصداقة. استدارا معاً لينظرا ما ان وصلت قربهما ونهض السيد جيمس على الفور.

قال مخاطباً المسؤول: «إنني ممتن جداً على تفهمك. لقد كنت لطيفاً جداً.»

سلم الرجل عليه وتمنى لديبورا عملاً جيداً بصوت مختلف تماماً عما كانت تسمعه. وهذا ما اثار انتباهها، لكن السيد جيمس دفعها خارج الفندق بسرعة مما لم يدع لها الوقت لتسأله.

فتح لها باب السيارة وطلب منها الدخول بينما كان يضع حقائبها في الصندوق، ما ان عاد حتى كانت جاهزة كي تسأله.

«الى أين سنذهب؟ وأين تقيم السيدة سوميز؟ وكيف تعرف ان كنت مناسبة لذلك العمل؟»

ادار محرك السيارة قبل ان يجيب: «سنذهب الى بيت شقيقتي، ويقع في برادفورد اون فون، ستمضي الليل هناك وفي الصباح ستأخذك الى لوتي التي تعيش خارج شيبنهام.»

قالت وهي تتنهد بقوة: «افترض انني لم ارغب بالذهاب؟ لقد احضرتني بأسرع ما يمكن.»

كان قد ابتعد عن المدينة واصبح على الطريق الى توتنز. سأل بهدوء: «لم يفت الاوان كي تغيري رأيك؟»

«اغير رأي؟ لم أحظ بأية فرصة لذلك...»

قال بصوت مشجع: «هيا، هيا، ماذا كنت ستفعلين بعد مرور عدة اسابيع وانتهاء فترة العمل في الفندق؟ ستجدين عملاً مؤقتاً آخر؟ يجب ان تعترفي انها ضربة حظ لك ان تسألني اختي ان كنت اعرف من تذهب الى لوتي لمساعدتها /تذكرت السيدة فرنون العجوز وتذكرتك. اعتقد انك ستجدين معاملة عم لوتي أصعب من معاملة السيدة فرنون.»

فكرت بحزن ان حظها هو الاعتناء بالعجائز. لكن هذا

على الاقل يؤمن لها سقفاً تأوي اليه ولقد كانت تخشى حقاً في سرها عما ستفعله بعد انتهاء فترة عملها في الفندق، لا بد انها ضربة حظ لها ان شقيقة السيد جيمس قد ذكرت ذلك العم العجوز...

كان السيد جيمس، يراقبها بطرف عينيه، وادرك ان اخفاء الحقيقة عنها قد سوى المشكلة. بدأ يخبرها عن آخر اخبار السيدة فرنون العجوز - انها تتحسن باستمرار وعندما رآها مؤخراً سألته عن ديبورا، تابع: «يبدو أنها تحب الفتاة التي تعمل عندها الان، لكنها تتذكرك بحب واضح.»

«يسعدني انها اصبحت افضل . هل يعاملونها بلطف؟» لفظت جملتها الاخيرة بقلق.

قال بطريقة عادية: «آه، نعم، عندما تموت سيرث الحفيد والحفيدة كل اموالها والبيت والاراضي الشاسعة التي تملكها. لكنني سمعت انها عندما عادت اليهم اوضحت لهم اما ان تتصرف كما يحلو لها او انها ستترك كل شيء للجمعيات الخيرية او ما شابه.»

«آه، جيد. لقد كانوا يسيؤن معاملتها، لكن انت تعلم لم يتوقعوا ان تشفى.»

«خطأ كبير، لكن السبب الاكبر لشفائها يعود اليك. لنأمل انك ستفعلين العجائب مع ذلك العم المخيف للوتي.»

كانا يتطلعان نحو مدينة اكستر ورغبت ديبورا لو انها تتمكن من تناول الشاي. فالغداء تناولته بسرعة كي لا يقاطعها احد ليطلب منها القيام بعمل ما ولقد قوطعت مرتين هذا النهار.

رأت مطعماً جميلاً يدعى «الطعام السعيد» ما ان وصلا

الى المدينة .لكن السيد جيمس لم يتوقف. كانا قد اصبحا في الجهة المقابلة لمدينة اكستر، وبمنتصف الطريق الى هونيتون توقف امام فندق على جانب الطريق.

قال بصوت حنون: «اترغبين بالشاي؟ ادخلي بينما اهتم ببليوم.»

فتح باب السيارة لها وانحنى ليضع الرباط للكلب بينما دخلت هي الى الفندق. شعرت بالراحة لمجرد رؤية النار المشتعلة في المدفأة والطاولات الانيقة كذلك كثرة المرايا الموجودة أمامها. نظرت الى نفسها فرأت شعرها مبعثر على كتفيها. رتبت شعرها بقدر ما تستطيع واستدارت لتجده قد جلس على احدى الكراسي بينما بليوم يجلس تحت قدميه. نهض على الفور عند وصولها وقدم لها كرسي بينما جلس بليوم بينهما.

قال: «آه، لقد طلبت . ان كنت لا تمانعين؟ الشاي، والخبز المحمص، وصحناً من المعجنات.»

لم يتأخرا في تناول طعامهما، كان لديها العديد من الاسئلة، لكنها لم تتكلم، شعرت ان لا وقت لديه ليضيعه. عاد ليقود السيارة بسرعة بين عدد من المدن الى ان وصل الى برادفورد اون افون. سار مسافة قصيرة في البلدة وانحرف نحو طريق في الوادي الى ان وصل الى قرية بعيدة. كان هناك طريق واحد، وبناء كبير بقي يسير حتى وصل الى بيت قديم تحيط به حديقة رائعة الجمال.

قاد السيد جيمس سيارته عبر الباب الكبير المفتوح. قال: «حسناً، ها قد وصلنا.» ما ان تكلم حتى فتح باب المنزل وركضت فتاة شابة نحوهما.

ادخلت رأسها عبر النافذة وقبلت خده، قالت: «جيمس، هيا ادخل.»

مدت يدها من أمامه وقالت: «اهلاً، آنسة ايفرت - لا تعلمين اي مساعدة ستكونين. لا تمانعين ان تمضي الليلة هنا؟ لقد اصبح الوقت متأخراً لتذهبي الى لوتي. يمكننا الذهاب غداً بعد تناول الفطور.»

فكرت ديبورا، انها تشبه اخاها بشكل واضح، ذات الشعر الاشقر والعينين الزرقاوين وذات الانف الصغير، لكن كل تلك الملامح على جمال انثوي ناعم. امسكت يدها وتمتمت. خرج السيد جيمس من السيارة واستدار ناحيتها ليفتح لها الباب.

سألت اخته بينما كانت تسير معهما نحو المنزل: «هل ستبقى للعشاء؟ الاطفال في أسرتهم ولقد ارادوا ان يبقوا مستيقظين حتى وصولك.»

«لا أستطيع البقاء، عزيزتي، لدي موعد. لكنني سأذهب لرؤية الاطفال في الوقت الذي ستأخذين فيه ديبورا الى غرفتها. هل روجر هنا؟»

«لقد ذهب الى الاصطبل لرؤية كويني، سيعود بعد قليل.» توقفت لتنظر اليه: «موعدك متأخر هذه الليلة، اليس كذلك؟ يلزم ذلك ساعتين فقط وستغير ثيابك ايضاً، كما اعتقد.»

«انني مدعو على العشاء كما عليّ الذهاب الى الاوبرا ايضاً لكنني تخليت عن الذهاب.»

ضحكت بات له وقالت: «هل هي جميلة وساحرة؟»

كل الذي قاله: «لا تتوهمي، عزيزتي.»

شعرت ديبورا بالفرح لأنها تمكنت من تجاهل شعورها الحقيقي وتظاهرت انها لا تهتم. لكن مضى ذلك كوميض البرق، لقد كررت ذلك كثيراً لنفسها، انه لا وجود لهذا الاحساس في حياتها، لكنها شعرت بالألم من مجرد التفكير انه سيشارك امسيته مع فتاة جميلة وانيقة. احساس بارد من اليأس ملىء قلبها وشعرت للحظة ان لا قيمة لحياتها كلها. لكن دام ذلك فقط للحظة،نادى السيد جيمس بليوم واخذ يصعد الدرج بسرعة بينما امسكت اخته ذراع ديبورا.

قالت ديبورا: «لا اعرف ما اسمك.»

«بات ... واسم زوجي روجر كروسول. هيا اصعدي معي لتري غرفتك. لا بد انك متعبة. قال جيمس ليس هناك من مشكلة في تركك عملك.»

عادت تفكر، بما قاله للمسؤول في الفندق؟ عليها ان تسأله....

كانت غرفتها في نهاية الممر المتفرع من قاعة كبيرة قرب الدرج. كانت غرفة رائعة... تنهدت براحة لمجرد رؤية مفروشاتها الانيقة والنظيفة وغرفة الحمام الصغيرة بداخلها.

قالت السيدة كروسول:«لا تزعجي نفسك بتغيير ثيابك، فنحن،انزلي ما ان تنتهي سيُحضر العشاء بعد ربع ساعة.»

ما ان عادت الى الطابق الارضي حتى وجدت السيد جيمس، شقيقته ورجل آخر يقفون في القاعة.

ما ان وصلت ديبورا اليهم حتى قال السيد جيمس: «انني آسف، علي الذهاب الان لكنني اعرف انك ستكونين سعيدة

عند لوتي، بالرغم من عمها المزعج لقد احضرتك بسرعة قصوى، اليس كذلك؟» ابتسم لها بينما كانت تصافحه.

قالت: «قليلاً، لكنني ممتنة لك كثيراً وسأفعل ما بوسعي.» حاولت ان تسيطر على نفسها وهو ينظر اليها باهتمام، تابعت: «شكراً لك على احضاري الى هنا، لقد سعدت برفقتك.»

عاد يقود سيارته، شعر فجأة وهو يقود سيارته عائداً، انه كان سعيداً ايضاً برفقتها. قال وهو ينظر الى كلبه يجلس على المقعد بقربه: «يسعدني ان اراها مستقرة، ربما ستقابل شاباً مناسباً وتتزوج.»

فكرة ايجاد مستقبل آمن للفتاة المتعبة يجب ان يمنحه الثقة والراحة لكنه لم يشعر بذلك ابداً.

كانت عائلة كروسول لطفاء جداً مع ديبورا، منتبهين كي لا يسألوها اي سؤال شخصي، تحدثوا عن حياتهم السهلة والمريحة في ديفون شير وعن خوفهم من العيش في المدينة، تصرف اولادهم، وحديقتهم... جلست معهم الى طاولة العشاء وهذا ما لم تتمتع به منذ وقت طويل. قالت بات: «بما اننا نحتفل بوجودك كي تؤمني الراحة للوتي... علينا ان نحتفل بذلك.»

ذهبت ديبورا الى غرفتها وهي تشعر بالراحة. لكن ذلك لم يمنعها من التفكير بالسيد جيمس. قالت لنفسها انها ستفكر فيه للمرة الاخيرة.

لم تكن متأكدة لما ازعج نفسه هكذا لايجادها ولاحضارها كي تحصل على عمل جديد لكنها ظنت انه يعتبرها كالم ما. لم يكن من النوع الذي يترك احداً بحاجة للمساعدة ومن المحتمل انه يراها كذلك. لم يكن ذلك مفيداً

لها... اذا كانت تثير شفقته. لذلك رأت انه من الافضل والمنطق لها ان تنام.

شعرت بالفرح وهي تتناول الفطور مع الطفلين، صبي وفتاة، مليئان بالحيوية والحشرية بينما كانت امهما تستعجلهما ليأكلا فطورهما. قالت بات: «يوصلهما روجر بطريقه الى المكتبة. فهما يذهبان الى مدرسة قريبة في الوقت الحاضر. سيذهب بول الى ونشستر لأن روجر يرغب بذلك لكن مولي ستبقى في مدرسة في باث.»

بعد ان غادر الولدان مع والدهما جلست ديبورا تشرب القهوة مع بات، التي قالت لها: «حسناً، اذا كنت جاهزة، ديبورا، سننطلق الى منزل لوتي.»

استغرقت الرحلة نصف ساعة الى شيبنهام. قادت بات في منتصف البلدة الى ان وصلت الى منعطف صغير وقالت: «تعيش لوتي في الريف، لكن ذلك لا يبدو سيئاً، فمن السهل جداً الوصول الى طريق مارلبورو او الذهاب شمالاً. يصل جيمس الى المدينة من عندنا بوقت قصير لا يذكر.»

سارت عبر طريق اضيق ومنعطفات كثيرة حتى وصلت الى منحدرات مشجرة، هناك رأت ديبورا قرية امامهما. كان هناك متجر صغير واحد وعدد من الاكواخ بعدما مرت بسياج من الاشجار. عادت بات تقود عبر طريق واسع يؤدي الى منزل كبير يزدان بنوافذ ملونة وحديقة تحيط به مرتبة بعناية واضحة.

قالت بات وهي تضع يدها على ذراع ديبورا: «هيا، تفضلي، ولا تشعري بالقلق، فالجميع يحب لوتي.»

لم تتفاجأ ديبورا بذلك عندما تعرفت على تلك السيدة التي اندفعت بسرعة اليهما وهي تقول: «بات، عزيزتي... انت عطوفة والعزيز جيمس تحملتما كل هذه المشكلة...»

استدارت نحو ديبورا، قالت وهي تصافحها: «ليس لديك فكرة كم انا سعيدة لأنني رأيتك، آنسة... لا، هل يمكنني ان اناديك ديبورا؟ ربما لن تقبلي بالبقاء ما ان تقابلي العم اوسكار، لكن ارجوك اعطنا فرصة. اتمنى انني فعلت ما هو الصواب... اعتقدت انني سأقدم له مفاجأة بحضورك.»

ادخلتهما الى البيت وهي تتابع: «هناك قهوة جاهزة في غرفة الجلوس. سأخبرك عنه بالتفصيل، ديبورا، قبل ان تقابليه.»

«يبدو وكأنه غول مخيف.»

«انه مستبد عجوز. هوايته المفضلة إيجاد الخطأ بكل شيء وبكل شخص. لكن بالواقع اعتقد انه رجل عجوز لطيف تحت كل ذلك الاستبداد. لم اره منذ سنوات عديدة، لكن ابنة عمي رغبت في امضاء عطلة والان يقول الطبيب انها بحاجة الى ثلاثة اشهر او اكثر من الراحة التامة ولم يمضِ على وجوده هنا ثلاثة اسابيع وانا نصف ميتة...»

إبتسمت باشراق لديبورا، كانت امرأة شابة وجميلة، ومن الواضح، انها سعيدة.

«تناولي فنجان آخر من القهوة بينما اخبرك عن عملك... سيكون لديك يوم عطلة بالاسبوع، بالطبع، ويمكنك ان تمكنت من التخلص من العم اوسكار، الحصول على بضع ساعات في اليوم للراحة. لن تقومي بخدمته، فهو صحيح الجسم

كهرقل... لكنه يحب ان يتلاعب بأعصاب الناس ويتكلم كثيراً... انه ينتقد على مدار عدد دقائق الساعة، ستحتاجين الى كل ما لديك من الصبر...»

نظرت الى ديبورا مشككة وتابعت: «يبدو الامر مخيفاً، اليس كذلك؟ لكننا سنفعل ما بوسعنا لكي تكوني سعيدة. آه، لقد نسيت، لم نتحدث بعد عن الاجرة.» ذكرت رقماً جعلها تحدق بها منذهلة.

«هذا كثير جداً، سيدة سومز...»

«حسناً، عليك التكلم مع بيتر عن ذلك لكن اعتقد انه لن يستمع اليك وستتقاضينه حتى آخر فلس. فلو لم تحضري لكان سيدفع مئات الجنيهات لأحد المستشفيات العقلية لأنني سأصاب بالجنون.»

ضحكنَّ جميعهن ونهضت بات لتغادر. خرجت السيدة سومز معها لتودعها وعندما اصبحت في السيارة ادخلت لوتي رأسها خلال النافذة، وقالت: «انها ناعمة... لا تبدو فائقة الجمال لكن عينيها رائعتان. يبدو عليها الحزن... اين وجدها جيمس؟»

قالت لها بات: «اعتقد انني فهمت انه يشعر بالمسؤولية نحوها...»

تبادلتا نظرات ذات معنى وقالت لوتي: «سأدعوه للعشاء في احدى الامسيات، سأتصل به صباح الغد.»

قالت عندما عادت الى القاعة الكبيرة والانيقة: «سترين غرفتك الان، بعدها ستوضبين اغراضك وتعودين الىَّ لنذهب ونفاجأ العم اوسكار.»

كان الدرج مصنوعاً من الخشب القديم بعناية واضحة،

وفي الطابق العلوي رأت ممراً يوصل الى عدة اتجاهات. في احدى الجهات كانت غرفتها وكانت تطل على مناظر رائعة الجمال . فُرشت بترتيب واناقة مع طاولة صغيرة تحت النافذة. رأت هناك بعض الكتب ايضاً ومزهرية وضعت فيها باقة جميلة من الازهار.

شعرت ديبورا بالدموع في عينيها من شدة لطف هذه العائلة فقالت: «إنها جميلة جداً، انني متأكدة من اني سأكون سعيدة هنا وسأفعل ما بوسعي لأجعل عمك سعيداً ومرتاحاً.»

«انني متأكدة من ذلك، هذه غرفة الحمام واذا كنت بحاجة لشيء ما فما عليك الا ان تسألي. لدينا مدبرة منزل وخادمة رائعة كما تحضر دائماً خادمة يومياً وسيعملون جميعاً على راحتك. سأتركك بمفردك توضبين ثيابك.»

ذهبت السيدة سوميز وجلست ديبورا على الكرسي المريح للحظة تفكر. فلو كان العم اوسكار طاغية مستبد، ستحصل على بعض الوقت لنفسها قبل ان تنام، لتجلس هنا وتقرأ في تلك الكتب. سمحت لنفسها ان تفكر في المبلغ الكبير الذي ستتقاضاه... لقد قالت السيدة سومز... انها ستبقى لمدة ثلاثة اشهر هنا. لا بد انها ستوفر اكثر من نصفه وهكذا اذا وجدت صعوبة في الحصول على عمل بامكانها ان تستأجر غرفة في مكان ما.

نهضت واخذت ترتب ثيابها في الخزانة الكبيرة وتعلق ثيابها القليلة في المكان المناسب لها. عليها ان تشتري فستان جديد لها.

مشطت شعرها ورتبت ثوبها ووضعت بعض البودرة الخفيفة على وجهها، ثم نزلت لتجد ان السيدة سومز بانتظارها.

قالت وهي تسير امامها في الممر الطويل: «انه يقضي معظم اوقاته هنا، غرفة نوم وغرفة جلوس... وباب متصل بالحديقة، فهو يحب الحدائق . لقد عاشت أمي معنا حتى وفاتها وقد رتبنا هذا الجناح لها. بالطبع يستعمل باقي الغرف، فهو يتناول الطعام معنا الا اذا اراد ان يبقى في جناحه. عادة يمضي المساء وهو يراقب التلفزيون ويتحدث عالياً طوال الوقت. لا يرضى بوجود جهاز للتلفزيون في غرفته لكنه يبقى الراديو بجانبه. يذهب احياناً معنا في زيارات عدة لكنه لا يحب الاطفال ويفضل البقاء بمفرده.»

توقفت السيدة سومز ورفعت يدها لتدق على الباب.

سمعتا صوتاً كالرعد:«ادخل.» ففتحت الباب ودفعت ديبورا قليلاً لتشجعها بالدخول.

قالت بفرح: «صباح سعيد، عمي.» وسارت الى منتصف الغرفة، كان الجناح كبيراً، اثاثه انيق ومرتب، نوافذه تطل على حديقة مليئة بالزهور.

كان الرجل العجوز يجلس بقرب الباب، مواجهاً المناظر الخلابة امامه... كل الذي رأته ديبورا شعر ابيض وجريدة مفتوحة تغطي وجهه.

قال بدون ان ينظر حوله: «الا يمكن ان اترك بسلام لعشر دقائق متواصلة؟ والان ماذا تريدين؟»

اقتربت السيدة لتقف امامه وهي لا تزال تمسك بيد ديبورا.

«هذه هي ديبورا، ستقيم معنا وستكون صديقتك.»

ظهر وجه قاس وعجوز من وراء الجريدة: «صديقة؟ هل قلت مرة انني بحاجة لذلك؟ ارسليها بعيداً... انت هنا لتشاطريني لعبة الشطرنج عندما انتهي من قراءة الجريدة.»

قالت لوتي بفرح: «حسناً، انا لا، ليس بعد الآن. لدي منزل عليَّ الاهتمام به. واطفال وزوج ايضاً. الآن لديك ديبورا لتساعدك في حل الكلمات المتقاطعة وللعب الشطرنج.»

وضع الجريدة ارضاً ببطء شديد ونظر اليها قائلاً: «ياللهول، انها طفلة... ولا دور لها معي على الاطلاق.»

قالت ديبورا بدون ادنى تأثر بتصرفه المتعجرف: «حسناً، ربما يجب ان تجرب حظك معي قبل ان تقرر.» كانت قد اعتادت على مثل هذه التصرفات السيئة فتابعت: «كيف حالك سيد...؟ اعترف انني لا اعرف اسمك.» ومدت يدها لتصافحه فأمسك بيدها على مضض.

قال بسخرية: «لديك لسان قوي في رأسك الصغير. اسمي ترانت.»

قالت موضحة: «المظاهر دائماً خادعة. لا تهتم لما ابدو عليه، فأنا جيدة في حل الكلمات المتقاطعة كما انني اجيد معظم العاب التسلية وخاصة الشطرنج، سيد ترانت.»

«لا اصدق ذلك.»

ابتسمت له وقالت: «لما لا تجرب، بعد ظهر هذا اليوم، ربما؟»

«تبدين فتاة ضعيفة لكن يبدو ان لديك ذكاء ما. سنبدأ بلعبة بعد الغداء. ستكونين هنا على الغداء؟»

قالت السيدة سومز: «بالطبع ستكون، عند الواحدة تماماً. تعالي، ديبورا. من الافضل الآن ان تشاهدي المنزل كله وتتعرفي على العاملين فيه.»

كان المنزل رائعاً كذلك مديرة المنزل والخادمة اديث اللتان تتكلمان بلهجة قروية لطيفة وقد ابتسمتا لها بعطف. كان هناك امرأة عجوز اخرى تغسل الثياب. وتضع على رأسها قبعة قديمة، تدعى السيدة هيواش. نظرت الى ديبورا وقالت بصوت صادق: «اهلاً، عزيزتي.»

ما ان عادتا الى غرفة الجلوس حتى رن جرس الهاتف، سارت السيدة سومز باتجاهه كي تجيب، قالت لديبورا: «لما لا تذهبين وتشاهدين الحديقة بنفسك.» وعندما تأكدت من ذهابها، رفعت سماعة الهاتف.

«علمت انه انت، جيمس، لا داع للقلق عليها... لا ليس هكذا لكن انت تعلم ما اعنيه. كان يجب ان تراها مع العم اوسكار... لقد تحدته على لعبة شطرنج بعد الظهر وعندما تصرف معها باحتقار قالت له ان المظاهر خادعة وان ليس عليه ان يحكم على مظهرها الصغير والضعيف. انها كنز حقيقي. ليس هناك من داعٍ لتزعج نفسك بشأنها بعد الآن، سأعمل على ان تحصل على عمل جيد عندما تغادرنا، لكنني افضل ان تقابل بعض الشبان الذين اعرفهم كي تتزوج...»

ملاحظة حقيقية القتها لوتي جعلت السيد جيمس يغضب قليلاً. لكن كل الذي قاله: «يسعدني انها ستستقر عندك. لم يكن لديها وقت للفرح والسعادة منذ عدة سنوات مضت.»

«حسناً، سنحاول ان نغير ذلك، سيأخذ العم اوسكار وقتاً طويلاً من يومها لكن ستجد بعض الوقت لتمرح قليلاً.»

شعر السيد جيمس بالغضب ثانية فذكر نفسه ان ليس هناك من سبب يدعوه للانزعاج من تعليقات لوتي. فلديبورا كل الحق ان تحصل على بعض المرح، مهما كان، ككل الفتيات من عمرها.

كان يجلس الى مكتبه، عندما قرر ان يأخذ عطلة في نهاية الاسبوع ليذهب ويرى بات وان يمر على لوتي في ذات الوقت. دخلت الممرضة التي تعمل لديه لتقول ان مريضه الاول اصبح جاهزاً فأبعد ديبورا عن فكره. عندما قرر العودة الى المستشفى بعد ظهر ذلك اليوم توقف عند مكتب سكرتيرته السيدة فوغ.

«آليس، اريد عطلة نهاية الاسبوع، هل استطيع؟»

فتحت دفتر المواعيد وقالت: «لنرى، انه الخميس اليوم. هذا الاسبوع لا مجال... لديك مؤتمر... وستتكلم فيه ايضاً. العطلة في الاسبوع المقبل... لنرى... لقد قبلت دعوة لامضاء نهار الاحد مع الطبيب فرويشر وزوجته. اما العطلة في الاسبوع التالي فلا ارتباطات سيدي...»

«جيد. ذكريني، آليس. عليَّ الذهاب الى الكوخ اولا فحاولي ان تجعلي الجمعة بعد الظهر ايضاً فراغ وصباح الاثنين ايضاً اذا استطعت سأكون في المستشفى اذا طلبني أحد. سأعود عند المساء لرؤية مرضاي.»

«ارجوك لا تنسى العيادة، سيد جيمس.»

راقبته وهو يخرج عبر الباب. لقد مرَّ عليه وقت طويل

ليجد زوجة تهتم به، دوبس وزوجته يهتمان به كثيراً لكن ما يحتاج اليه هو امرأة تحبه وتخلصه من كثرة اعماله وضغوطاتها.

كانت ديبورا تحاول جاهدة ضبط اعصابها. احضرت علبة الشطرنج ووضعتها على الطاولة قرب النافذة، بالقرب من كرسي العم اوسكار. كان الغداء شهياً، لكنه افسده بانتقاده للأكل الذي وضع أمامه. لا عجب ان السيدة سومز قد هددت بالذهاب الى احدى مستشفيات الامراض العصبية، لكن، قالت ديبورا لنفسها، انها مصنوعة من اعصاب فولاذية اضافة الى انها لا تحمل اية مسؤوليات اخرى كما انها تتقاضى الكثير لعملها هذا. وضعت كل قطعة مكانها وجلست بوجه السيد العجوز.

قد يكون قاسياً ومتسلطاً لكن من المؤكد ان لديه ذكاء حاد. لم تكن مبتدئة باللعب بالشطرنج فاقد كانت تلعب مع زوج أمها وهذا ما دعا بالعم اوسكار ان يعترف ان لديها منطق باللعب وقال: «افضل بكثير من لوتي، فلديها شعر اكثر مما لديها ذكاء برأسها.»

«سيد ترانت، لن اجلس هنا لأستمع اليك وانت تقول اشياء سيئة عن السيدة سومز، انها لطيفة وتحبك وانت تعلم انك لا تقصد ولا كلمة مما تقوله.»

«رويداً، رويداً، آنسة، ليس هكذا تخاطبين اسيادك. انني ارغب الان بتناول الشاي.»

قالت ديبورا بطريقة من المساواة: «وكذلك أنا، هل اذهب وارسله لك أمْ انك ترغب بتناوله مع السيدة سومز؟»

نفخ العم اوسكار انفه بمحرمة كبيرة وقال: «اذا كنا نتحدث سنتناوله معاً لكن اذهبي وقولي لها انني ارغب بتناول الشاي هنا، سنلعب الشطرنج ثانية قبل العشاء.»

وجدت ديبورا السيدة سومز مستلقية على الصوفا، وتقرأ في كتاب.

كانت الغرفة تغرق في فوضى محببة وكلب صغير ينام على الصوفا بجانب السيدة.

نظرت الى ديبورا مع شعور بالذنب وقالت: «آه، عزيزتي، اشعر بالذنب لأنني اجلس هنا ولا اقوم بشيء. لا يمكنك تحمله اكثر من ذلك؟»

ضحكت ديبورا وقالت: «لقد امضينا فترة مسلية وانني متأكدة انك تستحقين كل دقيقة من الراحة، سيدة سومز. يريد السيد ترانت تناول الشاي في غرفته وأتساءل ان كنت استطيع الحصول على فنجان ايضاً؟ انه يريد ان نلعب بالشطرنج ثانية.»

تنهدت السيدة براحة وقالت: «لا فكرة لديك... حسناً، يمكنك القيام بذلك الآن... واذا كان سيرغب بتناول الشاي في غرفته فهذا يعني انه يحق للاطفال اللعب والصراخ هنا، سأذهب لاحضارهما بعد عشر دقائق. انني متأكدة انه يحبهما لكن يسببون له التعب... هل يمكنك الذهاب الى المطبخ وتقولي لهم ليرسلوا الشاي الى غرفة العم؟ لا تمانعين بمشاركته بذلك؟ فهو ينام باكراً...»

بدا على السيدة سومز القلق فأسرعت ديبورا التؤكد لها انها ترغب بتناول الشاي مع السيد العجوز ثم ذهبت الى المطبخ حيث أحضر الشاي بعد مرور خمس دقائق من الراحة.

هزم العم اوسكار ديبورا في اللعبة الثانية وغادر الى غرفة نومه ليحضر نفسه للعشاء وقال لها: «وستعودين الى هنا بعد مرور نصف ساعة.»

فكرت انه من الافضل لها ان ترتدي ثوبها الجديد. استحمت وارتدت ثوبها وعقدت شعرها عالياً على رأسها وعادت الى غرفته. كان هناك وقد ارتدى قميصاً ووضع جاكيت مخمل فوق ذراعه.

قال بعصبية: «لماذا لا يوجد من يساعدني عندما احتاج للمساعدة؟»

رأت ان ذلك حديثه العادي ولا يعني الكثير. خففت عنه بمساعدته بارتداء الجاكيت وقالت له انه يبدو انيقاً ووسيماً وذهبت معه الى غرفة الطعام، غرفة رائعة، الطاولة تتسع لعشرين شخص والكراسي محفورة بشكل انيق وهناك الكثير من الزجاج الصافي والفضيات.

تناول الجميع العشاء بفرح، مع اعتراض العم اوسكار على كل شيء، فالطعام سيء الطهي والحديث ممل والاطفال يكثرون من الضجة.

قال له السيد بضيق: «انهم اطفال، عمي، وبكل الاحوال، ليس هناك من حاجة لتزعج نفسك، فهم في سريرهم الان. كنت سأصعد لهم لأقول لهم مساء سعيد.»

قال العم اوسكار: « اتيت الى هنا لتهتموا بي وليس لتُسمعوني اخباركم.»

لم يعلق احد على ملاحظة العم القاسية، وكان الصمت المطبق جواب كاف عن الجو الثقيل السائد.

بعد ان تناول الحلوى قال فجأة: «هل تعزفين على البيانو، آنسة؟»

قالت ديبورا: «نعم، لكن ليس بطريقة جيدة.»

«هناك بيانو في جناحي، يمكنك ان تعزفي لي لمدة نصف ساعة.»

اخذت ديبورا قضمة من حلوى الاجاص وقالت بجدية: «حسناً، سيد ترانت.»

فانت السيدة سومز: «كان يوم ديبورا حافلاً، ربما ترغب في الذهاب الى النوم باكراً.»

قال غاضباً: «تذهب الى النوم؟ في عمرها؟ عندما كنت شاباً لم انم يوماً قبل الثانية صباحاً.»

نظر الى ديبورا وتابع: «هل انت متعبة؟»

«قليلاً، لكنني لن انزعج بالعزف لفترة، سيد ترانت.»

عادا الى غرفة الجلوس وجلست الى البيانو الموجود في احدى زوايا الغرفة وسألته عما يريد ان يسمع.

قال لها وكأنه يمتحنها: «اي شيء، اي شيء.»

فأخذت تعزف قليلاً شوبرت، شوبان، ليلفر وغريغ .و عندما لم يعترض على شيء، بدأت بعزف أغنية قديمة تحبها. وانتهت بأغنية «تعالي الى الحديقة، مود.»

قال العم اوسكار: «بالرغم من ارادتي، هذه افضل نصف ساعة في النهار كله.»

تابع بقسوة: «اذهبي الى غرفتك، وارسلي لي تلك المرأة... ما اسمها؟ اديث... لتُحضر لي الحمام. سأنام انا ايضاً.»

تمنت له ليلة سعيدة وذهبت تبحث عن الخادمة لتخبرها ما يريده وصعدت الى غرفتها.

لم تعتقد ان السيدة سومز ستطلب منها ان تقول لها ليلة سعيدة.

كانت متعبة حقاً لكن الغرفة الدافئة جعلتها تشعر براحة عجيبة. كانت الستائر مقفلة والسرير مرتب بعناية، وهناك وعاء من الفواكه على الطاولة ايضاً. استلقت طويلاً في الحمام الساخن، بعدها تناولت تفاحة واخذت تستعيد وقائع يومها.

لقد كان يوماً مليئاً لكنها احبت العم اوسكار، فصوته اعلى بكثير مما يقوله عادة.

عندما اصبحت في سريرها، وبالرغم عنها، آخر من فكرت به كان السيد جيمس.

شيء غريب، كان يفكر بها ايضاً، لكن بينما كانت تفكر به بحب وشوق كان سيفقد صبره لأنه لم يتمكن من نسيانها. افترض، ان ذلك بسبب شعرها، فهو اول شيء لمحه عندما دخل الى غرفة السيدة فرنون العجوز. كان شعرها يضيء تلك الغرفة المظلمة، مستمداً الوانه من تلك الزهور على الطاولة.

قال لبليوم الامين: «فتاة متعبة، لننسى أمرها ولنهتم بحفلة العشاء التي ستقام مساء الغد.»

الفصل السادس

كان العم اوسكار لايشبه بشيء السيدة فرنون العجوز، فلقد كان قوي الهمة، فاقد الصبر. وعلى الرغم من عمره كان يبحث دائماً عن انواع جديدة للتسلية.

كان دائما يرغب بالذهاب الى القرية ليذهب في نزهة بالباص، او ليمضي فترة الصباح في احدى الحدائق العامة يتمشى بين احواض الزهور، ليقطع البراعم ويأكل الفريز البري، ادركت ديبورا بعد فترة قصيرة جداً لماذا كانت ابنة اخيه بحاجة ماسة للمساعدة. رغم ذلك، كانت سعيدة، فلم يكون هناك يومان يشبهان بعضهما، فهي لايمكن ان تعرف بما يرغب فيه بعد قليل، فقد تمضي النهار تلعب بالشطرنج او لعبة اخرى او تذهب للتسوق في القرية لأنه يرغب في تناول الحلوى. وقد يعودان من القرية سيراً على الاقدام، وقد انتفخت خدودهما، وكانت تتوقف من فترة لفترة لأنها كانت تشعر بالتعب والارهاق.

لم يكن لديها وقت كافٍ لنفسها لكنها لم تكن تهتم... فعائلة سومز كانت لطيفة ومحبة لها كذلك الطفلين، مليئان بالحيوية والضجة لكنهما مهذبان. فكرت كم هو جميل لو تتزوج، مثل لوتي، من رجل يحبها بصدق، وان تحصل على طفلين رائعين وان تعيش في بيت جميل ومعها مايكفي من المال.

احبها العم اوسكار وأحب وجودها معه. كان فظاً،

بالطبع، لكنها كانت تعلم انه لايعني كل ما يقوله. كان يصرخ بها لأنها لاتسمح له ان يتسلق العواميد ويدعوها باسماء ثم ينفجر ضاحكاً. وجدته مسلياً على الرغم من المسؤولية الكبيرة تجاهها.

في اول يوم عطلة لها ذهبت الى شيبنهام عند الصباح وامضت نهاراً رائعاً تتنقل بين المحلات التجارية، وبما ان لديها مايكفي من المال، قررت شراء ثوب جديد، رمادي اللون ذات ياقة بيضاء وقطعة من الموسلين الابيض على كميه الطويلين، مناسب تماماً لأي عمل جديد في المستقبل.

تناولت الغداء في مطعم صغير على جانب الطريق، وبناء على طلب السيد سوميز كانت بانتظاره عند الساعة السادسة.

وجدت العم اوسكار غاضباً جداً. قال ماان دخلت غرفة الجلوس:«أين كنت؟ قد أضاعوا الاغبياء نظارتي ولوتي لاتميز القزم من الفارس. انني منزعج جداً وانا بحاجة لشراب ما.»

قالت ديبورا بهدوء:«انت تعلم تماماً ان اليوم اجازتي، وانا ارى نظارتك من هنا، انهامعلقة في جيب الجاكيت. سنلعب الشطرنج قبل ان اذهب للنوم وسأطلب لك شراباً اذا قلت ماتريده.»

وضعت النظارات على عينيه، ودعته للجلوس بهدوء وذهبت لتحضر له كوباً من الليموناضة قبل العشاء. بعد ان انتهت، ذهبت الى غرفتها وغيرت ثيابها بثوب اخضر. غداً سترتدي ثوبها الجديد.

مرّ اسبوع آخر، وأشرف الصيف على الانتهاء ومع انه لم يذكر احد متى سينتهي عملها، كانت تأمل ان تمضي بعد

شهرين على الاقل. عندها سيكون معها المال الكافي لتجد عملاً جديداً، هذا ماكان يقلقها كلما أوت الى فراشها في غرفتها الجميلة.

صباح نهار السبت، اعلن العم اوسكار عن رغبته بالذهاب سيراً الى القرية لشراء الحلوى، كان النهار بارداً والغيوم تملأ السماء وتبشر بالمطر قريباً لكن بما انه قرر الذهاب فانطلقا على الفور. حملت ديبورا شمسية كبيرة. كان المتجر في القرية محتشداً بالمشترين واخذ العم اوسكار الكثير من الوقت ليقرر ماالذي سيشتريه. اخيراً، خرج من المتجر وقد ملىء جيوبه بأنواع كثيرة من الواح الشكوكولا والحلوى. وانطلقا عائدين. بالرغم من المطر، المنهمر بغزارة، كانا يسيران على مهل، لأنه كان سعيداً ويتوقف بين الحين والاخر ليعلق على اشياء لاقيمة لها. كانا قد وصلا الى المنعطف الذي يشرف على المنزل مباشرة عندما رأت ديبورا سيارة جيمس امام المنزل.

قالت:«اه، لا.» وتوقفت عن السير مباشرة.

نظر اليها العجوز على الفور وقال:«هذه سيارة جيمس، لما تقفين وكأنك أوزة اصيبت بصاعقة؟ انت تعرفينه، اليس كذلك؟ شاب رائع، وذكي ايضاً.»

نظر اليها بمكر وتابع:«تحبينه، حقا؟ يجب ان لااتفاجأ، انه فرصة جيدة، ولايعقل ان لايلاحظك بشعرك هذا. قالت لوثي ان لديه يد في ايجاد عملك... انه دائماً يبحث عن ملجأ للهرر والكلاب المشردة.»

قالت ديبورا ببرودة:«سيد ترانت، انت شخص عجوز فظ ومغرور وانا اعلم انك لاتقصد نصف ماتقوله.»

تقبل ماقالته بروح مرحة، وقال:«يعجبني جداً الطبع الحار في المرأة.»

امسك بذراعها وتابع:«لنذهب ونلقي التحية على جيمس.»

بدأ بالسير نحو المنزل فاضطرت للحاق به بسبب الشمسية، لكن عندما وصلا الى الباب، قالت بسرعة:«سأذهب الى المطبخ لاحضر القهوة. لاتنسى ان تخلع حذاءك قبل ان تدخل.»

ابتعدت بسرعة فيما راقبها السيد جيمس من خلال نافذة غرفة الجلوس.

كانت تبدو ضعيفة كما هي دائماً، شعرها مبلل ويلتف بفوضى حول وجهها،ومع ذلك شعر بفرح غريب لمجرد رؤيتها ثانية.

سأل بكسل:«هل تشعر ديبورا بالاستقرار، هنا، يالوثي؟»

«انها رائعة، تهتم كثيراً بالعم اوسكار، متجاهلة طبعه السيء وفظاظته وتمضي الساعات تلعب بالشطرنج معه. نحن نشعر بالامتنان نحوها. لن تعرفه مادلين عندما تعود.»

«متى ستعود؟»

«لست متأكدة، بعد فترة لابد ان ديبورا متشوقة للعودة الى حياتها الطبيعية. ومما لاشك فيه ان عائلتها تفتقدها.»

«لاعائلة لديها... فقط اخ واخت غير شرعيين.»

«اه، لم اعرف. لاتتحدث مطلقاً عن نفسها.» ابتسمت وقالت:«تعال واجلس لتخبرني ماالذي تفعله مؤخراً. تقول بات انك تعمل كثيراً هذه الايام.»

«ارغب بامضاء عطلة اسبوع هادئة. ولقد رأيت انها فرصة مناسبة لأحضر وارى ان كانت ديبورا مناسبة لعملها.»

«بالطبع هي كذلك. لكننا نشعر بالذنب قليلاً، لأنها لاتمضي وقت فراغ...يوم، تقريباً يوم... في الاسبوع، تذهب الى شيبنهام وتنظر الى الواجهات.»

كان السيد جيمس، مرتاحاً جداً، يضع رجلاً فوق رجل.قال:«سأسألها ان كانت تقبل دعوتي للعشاء... غداً مساء؟»

«يالها من فكرة رائعة. انني متأكدة انها سترغب بذلك. اذهب واسألها الان. انها الان تقدم القهوة للعم اوسكار في غرفة الجلوس. ستحضربات لتشرب الشاي عندنا مع اولادها... هل ستحضر معها؟»

«احب ان امضي الفترة المتبقية من النهار في الكوخ،لكي اهتم بالحديقة قليلاً.»

«بالطبع، احضر عندما ترغب، انت تعلم، جيمس، انه مرحب بك دائماً هنا. اذهب لترى بيتر قبل ان ترحل... انه في الاصطبل مع الطفلين. اعتقد ان بليوم هناك ايضاً...»

«سأناديه وارى العم اوسكار بطريقي.»

وصل السيد جيمس الى باب غرفة الجلوس للعم اوسكار في ذات الوقت الذي وصلت فيه ديبورا، قادمة من المطبخ وهي تحمل صينية القهوة. اخذها منها، وتمنى لها نهاراً سعيداً بصوت ناعم ولحق بها الى الغرفة.

قال الرجل العجوز:«فكرت ان تأتي، واين هو الكلب المضحك لديك؟ هل اتيت لتتحدث معي؟ اسكبي ديبورا

القهوة واحضري فنجاناً وصحناً جديداً. اتيت لترى كيف تتحملني، اليس كذلك؟»

نظر اليها مطولاً فلم تبد اية ملاحظة، سكبت القهوة وهي تحاول السيطرة على نفسها مما سيقوله بعد، والذي كان شيئاً جيداً، لأن الرجل العجوز تابع بصوت عال:«ليست فاتنة لكن كلها تشبه رغيف الخبز الطازج الشهي، كما انها تجيد لعب الشطرنج وتعتاد عيناك على شعرها.»

لم يظهر اي تعبير على وجه السيد جيمس، قال بفرح:«من الصعب ان تتوقع ان اشاطرك الرأي، لكن يسعدني ان اعرف ان ديبورا مازالت هنا بالرغم من... تذمرك الدائم.»

مدّ يده ليأخذ فنجان القهوة التي كانت تقدمه له فرأى يدها ترتجف. اخذ الفنجان وباليد الاخرى امسك بيدها للحظة، كانت يده دافئة وحنونة. قال بطريقة عادية وكأنه يخاطب صديقة:«لقد اخذت عطلة لنهاية الاسبوع وارغب في امضاء سهرة معك ليلة الغد... للعشاء... ربما؟»

نظرت اليه وقالت:«اه، سيكون هذا رائعاً، لكنني لست متأكدة...»

كان العم اوسكار يتظاهر بالطرش عندما لايرغب بسماع شيء ما، قاطعها بسرعة وقال:«لاتترددي، آنسة، لن تحصلي عادة على دعوة للخروج مع شخص مثل جيمس. عالم في الطب ووسيم جداً ايضاً. ستذهبين وتجعلين كل الفتيات الجميلات يشعرن بالغيرة منك.»

قالت ديبورا كحقيقة واضحة:«ليس هناك من مجال

للخوف لذلك، لكنني سأعلمك بكل شيء عند الفطور صباح الاثنين.»

«ها... تريدين البقاء لمنتصف الليل.» نظر اليهما بامعان ثم تابع: «مازلتما تمسكان بايدي بعضكما، اليس كذلك؟»

سحبت يدها من يد السيد جيمس بسرعة، فضحك ببساطة وعلّق ان العم اوسكار هو اكثر الناس تسلية ممن يعرفهم. نظر الى ديبورا وهو يتكلم وتابع بلهجته المعتادة: «سأمر لأخذك عند السادسة والنصف، اذا كنت تريدين؟ فهناك فندق جميل في سوتن بنغر، ستخبرينني بكل ماعندك ونحن نتناول العشاء.»

«عليّ ان اسأل السيدة سوميز...»

«بالطبع، لكنني سأراها على الفور.»

عادت الى المطبخ لتحضر فنجاناً وصحناً ولتستبدل ابريق القهوة البارد بابريق ساخن فجلس الرجلان يتحدثان لمدة نصف ساعة قبل ان ينهض السيد جيمس ويقول ان عليه رؤية بيتر واخذ بليوم. صافح الرجل وذهب الى ديبورا التي كانت تجلس بصمت على كرسي.

قال: «سنتقابل ثانية غداً.» وانحنى ليقبل خدها قبل ان يخرج الى الحديقة للبحث عن بيتر سوميز وبليوم.

نهضت ديبورا واخذت تشغل نفسها بوضع الفناجين على الصينية وحملها، منتظرة ان ينفجر العم اوسكار بالضحك او ان يلقي بعض ملاحظاته المزعجة. قبلته كانت غير متوقعة وجعلتها تشعر بالسعادة لكن العم اوسكار سيمحي تلك السعادة بملاحظاته الفظة.

لم يقل شيئاً، وهذا ما فاجأها، فذهبت الى المطبخ وهي

تشعر بالراحة وفي ذات الوقت متعجبة. لقد كانت تفاجأت اكثر لو سمعته يقول وهو يبتسم: «حسناً، حسناً، اتمنى ان اعيش لأرى ذلك اليوم... لقد اعتقدت دائماً انه سيبقى أعزب.» وعندما عادت ديبورا كان يقرأ باهتمام بجريدته.

ارتدت ثيابها بعناية واهتمام مساء الاحد، سعيدة ان ترى ان ثوبها الرمادي جميل عليها كما رأته عندما اشترته، تخيلت ان لونه يناسب تماما لون شعرها الناري، كانت تشعر بالفرح والثقة عندما نزلت الى الطابق الارضي، ومنه الى جناح العم اوسكار، لتنتظر السيد جيمس.

مما لاشك فيه سيجد ذلك الرجل، اي كلام يقوله عن مظهرها ولقد كانت مستعدة لذلك، لكنه لم يكن منزعجاً ابداً، كل الذي قاله: «أمر مدهش ماذا يفعل الثوب المناسب للفتاة.» ملاحظة قد تفسرها كما ترغب.

كانت تجثو على ركبتيها، بجانب خزانة الحائط للبحث عن الحذاء للمنزل للعم اوسكار الذي قذفه بغضب، عندما دخل السيد جيمس بسرعة من الحديقة. وقف للحظة ينظر باعجاب الى الجزء الظاهر من ديبورا، قبل ان يقول: «عمت مساء... هل يمكنني المساعدة؟»

لمعت عيناه وهو يراقبها تنهض لكن عندما نظرت اليه كانت نظرته هادئة جداً مادفعها للقول: «لابأس، شكراً لك، فقط ابحث عن حذاء المنزل للسيد ترانت.» اضافت بعد تفكير: «مرحبا.»

ابتسم لها: «مرحباً، ديبورا... يعجبني ثوبك.»

بقي العم اوسكار صامتاً، واخذ يهمهم، لكن ماان تمنت له مساء سعيداً حتى قال بغضب: «اعتقد انك ستعودين باكراً.»

قال السيد جيمس بلهجة حاسمة:«انت تبالغ بالواقع لقد بلغت سناً تستطيع الوثوق بي وعلى ديبورا النهوض باكراً، لمواصلة عملها.» هذه الملاحظة القت ظلاً على امسية ديبورا. لكن الفكرة المزعجة عندما سألها كحس من المسؤولية ان تلقي السلام على عائلة سوميز حيث كررت الوداع بضيق ظاهر قبل ان تصعد الى السيارة.

عرف السيد جيمس خطئه من قراءته لنظرة ديبورا المتضايقة وقرر ان يخفف عنها... شيء يقوم به بسهولة بحديث صغير، مضيفاً ان بليوم سعيد برؤيتها. بعد فترة قررت انها اخطأت بحكمها عليه وبدأت تتمتع بسهرتها.

اخبرها الى اين سيذهبان وكانت الطريق قصيرة. ففندق بال هوس منتجع صغير في شبينهام، تحيط به حديقة رائعة. خرج بليوم امامهما قبل ان يدخلا الى الفندق كان اختيار السيد جيمس جيداً، فالمكان رائع، شعرت ديبورا بالسعادة من الانوار الجميلة الموزعة بتناسق وانسجام. نظرت حولها باهتمام وبثقة عندما لاحظت النساء يرتدين ثياباً لاتضاهيها اناقة. تنهدت براحة فابتسم السيد جيمس.وقال:«اتمنى ان تكوني جائعة... لقد امضيت طوال النهار في الحديقة اعمل واشعر الان بالجوع الشديد.»

«اه... هل مكثت في مكان قريب من هنا؟»

«نعم،المكان ليس ببعيد.والحديقة جميلة جداً حتى ولو ان الصيف شارف على الانتهاء. سآخذك اليها عندما نغادر من هنا.»

«سيكون الظلام قد حل.»

«القمر الليلة بدراً كما بالامكان اضاءتها من المنزل.»

«لن يمانعوا؟ الاشخاص الذين تقيم معهم؟»

«لا.» ابتسم وشعرت بقلبها يضطرب قليلاً، حاولت ان تخفي اضطرابها بالنظر الى قائمة الطعام، وقالت:«سأطلب الفطر مع الثوم والصلصة البيضاء، بعدها سآخذ السمك. من فضلك.»

لم يتحدثا عنها الا بعد ان انتهت من تناول طعامها ومن تناول الحلوى ايضاً، بدأ يتحدث بحرص وببساطة عن مستقبلها ويسألها عما ترغب ان تفعله.

قالت:«حسناً، اتمنى ان تعطيني السيدة سوميز افادة جيدة تمكنني من الحصول على عمل جيد وبسرعة. ليس في لندن، بالطبع، لأنني قد اقابل والتر اوبربارة هناك...»

قال بهدوء:«انت لاترغبين برؤيتهما ثانية؟»

«لا، اه، لا، فهما لايحباني، كما ترى، لم نتفق يوماً...» توقفت عن الحديث، ادركت فجأة انها تترك لسانها ينزلق بأحاديث خاصة. قالت لتغير الحديث:«ماأجمل هذا المكان.»

«يسعدني انه اعجبك.» واخذ يحدثها عن الفندق، فشعرت ان خوفها من انها قد تحدثت كثيراً عن نفسها لامبرر له تماما كما توقع وقصد.

ماان عادا الى السيارة حتى اقترح بالسير قليلاً في السيارة، قال:«انها ليلة جميلة ويمكنك ان تلقي نظرة سريعة على الحديقة التي اخبرتك عنها.»

سار شمالاً باتجاه مالمسبري لكن بعد قليل انحرف نحو طريق ريفية على بعد ميل اواثنين. كان ضوء القمر رائعاً ومشعاً وكانت الحقول والاشجار تلمع كالفضة من

نوره. مرا بقرية صغيرة، فيها عدة اكواخ وبناء قديم، وبدأ يتسلق تلة صغيرة. استمرت الطريق بعد ذلك لتصل الى قرية اخرى اكبر، ويتخللها جدول صغير يمر عبر اراضيها. مرا عبر القرية بأكواخها حتى وصلت السيارة الى طريق ضيق ودخلت عبر عواميد من القرميد لتتوقف امام منزل قديم، جدرانه مدهونة باللون الابيض ونوافذه صغيرة مزدانة بخيوط ذهبية.

خرج السيد جيمس من السيارة وفتح لها الباب بعدها فتح صندوق السيارة لبليوم.

قالت ديبورا:«انه رائع الجمال، بني في القرن السادس عشر؟ لااعرف الكثير عن عالم البناء. هل أنت متأكد ان اصدقاءك لايمانعون؟» ونظرت الى النوافذ المضاءة بجانب الباب.

امسك بذراعها وعندما ارتجفت قال:«انتظري، هناك وشاح في السيارة.»

عاد الى السيارة واحضره ليضعه حول كتفيها وتابع ببساطة:«ربما لم اوضح لك الحقيقة... المكان ليس لأصدقائي. انا احضر الى هنا كلما استطعت الابتعاد عن لندن. وانت محقة.» اخذ يخبرها بنعومة قبل ان تتمكن من الاجابة:«انه قديم جداً، وبالتحديد بني عام ١٥٥٠. قدمه الملك ادوارد السادس الى اسلافي وتتوارثه العائلة منذ ذلك الوقت.»

فتح الباب فقفز بليوم امامهما الى القاعة الواسعة، وهو ينبح بسعادة.

كان الدرج من احدى زاويا القاعة ولايبدو قديماً

كالمنزل. وفي نهاية الممر رأت باباً واسعاً وقديماً يفتح وتظهر منه امرأة بدينة. كانت ترتدي ثياباً داكنة اللون وتربط شعرها الرمادي في أعلى رأسها. وجهها مستدير وعيناها بنيتان. قالت:«هاانت، سيد جيمس... والسيدة الشابة. هناك نار لطيفة في غرفة الجلوس وابريق من القهوة عندما تريدان احتساءه.»

«شكراً لك، بولي. ديبورا، هذه بولي، التي تهتم بي عندما اكون هنا.»

مدت ديبورا يدها بينما قالت بولي:«حسناً، انسة، يسعدني جداً ان اتعرف عليك.»

قال السيد جيمس:«سنلقي نظرة سريعة على الحديقة اولاً.»

وامسك بيد ديبورا ليقودها عبر مطبخ جميل وقديم الطراز الى الخارج من الباب الخلفي.

كانت السماء صافية والقمر يلمع بأشعة بيضاء كالفضة، حتى انها رأت احواض الزهور والمروج والممرات المتشابكة والاشجار التي زرعت بطريقة معينة.

كانت تشعر بيده على ذراعها سألت:«هل كانت الحديقة هكذا أم انك انت من رتبها هكذا؟»

«قليلاً من الاثنين. لم اغير هندسة الحديقة، لكنني بالطبع قمت بزراعة العديد من الاشجار. والدي وجدي زرعا عدداً كبيراً من الاشجار في نهاية المرجة هناك وانا من انشىء حوض السباحة في الطرف الاخر.»

«كل ماتقوله يبدو رائعاً.»

«اه مزيج رائع، اليس كذلك؟ لايزال لدينا العديد من

أنواع الورود مع انه يوجد لدينا افضل سياج عشبي.»

«لابد أنك تفتقد هذا المكان حين تبتعد عنه...»

«بالطبع، لكنني أصل الى هنا بسرعة من لندن، احاول ان امضي كل ايام العطل هنا.»

توقفا عن المشي للحظة ليراقبا قنفذاً يمر بسرعة عبر الممر. قال:«يوجد ايضاً حيوانات الفرير في آخر الحديقة. هل تحبين الريف؟»

كانا يعودان الى المنزل وانوار المنزل تصلهما عبر الاشجار المتشابكة.

قالت:«نعم، عندما كنت فتاة صغيرة كنا نعيش في شمال واللب لكن عندما تزوجت أمي ثانية انتقلنا الى هامبستد.»

«ولم تعودي ثانية الى هناك؟»

«لا، اقنعها زوج أمي بأن تبيع المنزل.» تكره ان تتحدث عن هذا وهذا ماادركه بسرعة. قال ملاحظة صغيرة عن قرى واللوب واقترح ان يشربا القهوة قبل ان تعود.

عندما عادا الى دخل المنزل وبليوم يقفز بينهما، وصلا الى غرفة ذات سطح منخفض، مليئة باللوحات الجدرانية والستائر السميكة تغطي النوافذ. كانت المفروشات مزيج من خشب السنديان وانواع اخرى قديمة الطراز. ووضعت طاولة من العهد الفيكتوري قرب المدفأة عليها صينية فضية محفورة. رأت ابريق القهوة الفضي وبجانبه طقم من الاوعية الشفافة والرقيقة للسكر والحليب. وصحن عليه قطع من البسكويت الشهية المنظر. دعاها الى الجلوس وطلب منها ان تسكب القهوة،فقالت بصراحة:«أخشى ان ألمس اي شيء من هذه

الاشياء.انها رائعة الجمال وقديمة وقد تقع من يدي.»

قال السيد جيمس بوضوح:«لديك يدان صغيرتان وماهرتان، وهذه الاشياء نستعملها كل يوم عندما اكون في المنزل.»

أعطتها هذه الملاحظة الشجاعة لتسكب القهوة.

دقت الساعة المعلقة على الحائط فوضعت ديبورا فنجانها وصحنها على الفور وقالت:«لقد كانت سهرة رائعة، واشكرك كثيراً على دعوتك لي، اعتقد من الافضل ان اعود الان.»

وافق على الفور فتساءلت ان شعر بالملل من رفقتها. كانت طباعه جيدة بشكل لاتستطيع ان تدرك ذلك لكنها فكرت انها ليست بالرفيقة المناسبة التي يختارها عادة لامضاء سهرة في الخارج. صعدت الى السيارة وهي تفكر، لابأس ان شعر هو بالملل فلقد كانت السهرة بالنسبة اليها اكثر من حلم وكنز مفقود.

كانت عائلة سوميز لاتزال في غرفة الجلوس، سألت لوثي:«هل كانت سهرة جميلة؟ لقد ذهب العم اوسكار الى سريره لكنه كان منزعجاً قليلاً. قال ان عليك الذهاب اليه لتقولي له مساء سعيداً، ديبورا، والا لن ينام.»

«انني اسفة، سيدة سوميز، لن اخرج ثانية في المساء...» توقفت عن الكلام، وقد احمر وجهها خجلاً، لأنه بدا كلامها، وكانها تتوقع ذلك. «سأذهب لرؤيته الان قبل ان اصعد الى غرفتي. عمتم مساء.» نظرت الى السيد جيمس الذي كان يقف الى جانب الباب الداخلي وتابعت:«وشكراً لك ثانية على هذه الامسية الجميلة،سيد جيمس.»

اقترب منها وقال:«انا من كنت سعيداً، ديبورا.» فتح لها الباب وماان مرت امامه حتى قبل خدها قبلة سريعة.

اسرعت ديبورا بالخروج من القاعة، ولم تلتفت الى الوراء، دخلت الى غرفة الجلوس في جناح العم اوسكار بعدها الى غرفة نومه الذي ترك بابها مفتوحاً. رأت الضوء بجانب سريره فوقفت امام الباب.

قال:«هاي، ها قد عدت؟ هل استمتعت بوقتك، اقصد، هل قبلك؟»

نظر اليها من فوق نظارته بعد ذلك خلع نظارته وقال:«كنت امزح.» عندما شاهد وجهها.

قالت له بفرح:«لقد استمتعنا جداً بالعشاء، بعدها اخذني السيد جيمس الى منزله... لم اكن اعلم انه يعيش على بعد اميال قليلة من هنا.الحديقة رائعة الجمال رأيت حاجز عشبي لم ار مثله قط كذلك رائحة الازهار كانت رائعة.» توقفت عن الكلام فقال الرجل بخشونة:«يسعدني انك امضيت وقتاً جيداً.والان اذهبي الى غرفتك.»

«نعم، سأفعل، هل تريد شيئاً قبل ان اذهب، سيد ترانت؟»

تحرك في سريره وقال:«لاشيء، سأخلد الى النوم الان.»

جلست ديبورا في سريرها لفترة طويلة قبل ان تسمع سيارة السيد جيمس مغادرة. قالت لنفسها بحزم. هذا كل مافي الامر، ماان تضع هذه الافكار الرومانسية السخيفة بعيداً عن تفكيرها وتهتم فقط بمستقبلها، كان افضل لها. فالاسابيع تمضي بسرعة ولم تضع ايه خطة لمستقبلها بعد. وابنة العم اوسكار ستعود قريباً لتأخذه الى بيته. قالت وهي تكاد ان تنام، أمر مؤسف انها لاتستطيع ان تقرر ماالافضل

لها. لقد تمكنت من ادخار بعض المال ولكن اي تدريب على مهنة ما يأخذ وقتاً ولاتعتقد انها تملك مايكفي لاكثر من ثلاثة او اربعة اشهر، حتى ولو عاشت بالتقشف المطلق. عليها ان تتعلم كي تجد عملاً مناسباً. لأن تعمل معلمة؟ فهي ليست ذكية كفاية ولاحازمة. التمريض؟ سطح فوق رأسها وطعام يكفي كي تجيد هذه المهنة لكنها ليست متأكدة أنها ترغب بالعمل كممرضة. تحب ان تهتم بالناس لكن ليس كممرضة، ووجدت انها لن تجيد اي عمل على الاطلاق. اما كمربية اطفال؟ فهذه المهنة تحتاج الى سنوات من الدراسة وهذا مالاتستطيع تحمل كلفته. لم يبق غير اعمال مكتبة او مساعدة لمربية الاطفال. نامت وهي تفكر فحلمت بكوابيس عدة وكأنها تسير عبر محطات كثيرة وهي ضائعة، تفقد الاشياء وتضيع اكثر وعندما صحت من النوم في الصباح الباكر كانت قلقة ومضطربة.

عاد كل شيء الى طبيعته مع عودة الصباح، كان العم اوسكار مليئاً بالنشاط فبقيت طوال الصباح تعمل معه وعند الغداء كان لدى السيدة سوميز الكثير من الكلام لتقوله عن عشاء كبير راقص سيقام بعد عدة اسابيع وستدعى اليه هي وزوجها.

قالت لديبورا:«اصدقاء قدامى، وهذه الحفلة من اجل ابنتهم الكبرى التي بلغت الثامنة عشر من عمرها وسيكون هناك العديد من الناس. اتساءل، ديبورا، اذا كنت لاتمانعين من الاشراف على الاطفال عند نومهم؟ اعلم ان هناك من يهتم بهما لكن اريد ان تلقي نظرة عليهما في غرفتهما؟ نحن نعلم اننا سنعود متأخرين جداً.»

قال العم اوسكار بغضب:«ومن سيهتم بي؟ الانسة هنا موجودة على ماااعتقد لتهتم بي فقط.»

اخذ يبحث هذا الموضوع طيلة فترة الغداء ووعدته ديبورا بلعبة شطرنج لتسوية الامر.

مضت الاسابيع بسلام مع عملها المعتاد. انتهى فصل الصيف وعندما ذهبت ديبورا الى شبينهام في يوم عطلتها اشترت تنورة بنية اللون وقميصاً وكنزة من الصوف. كانت تعلم ان لديها ثوبها الرمادي الانيق اذا اقامت عائلة سوميز احتفال ما وطلب منها الحضور. حتى الان، عندما يحضر ضيوف الى المنازل، كان يرفض العم اوسكار الانضمام اليهم ويتناول العشاء مع ديبورا في غرفته. وهذا أمر مريح للجميع.

في يوم الاحتفال الراقص قرر العم اوسكار ان يتذمر طوال الوقت. فلقد قال لديبورا عندما دخلت غرفته انه مصاب بصداع اليم، ويريد تناول فطوره في السرير، وعندما عرضت عليه ان تحضر له شيء يخفف من صداعه قال لها بحدة ان عليها الاهتمام بعملها، تجاهلت ملاحظته وهي تسكب له القهوة، ومتأكدة ان البيض المقلي تماماً كما يحبه، بعدها انسحبت الى غرفة الطعام حيث كان الجميع يتناولون الفطور.

نظرت السيدة سوميز ماان جلست ديبورا وقالت:«صباح سعيد، ديبورا اسمع غضب العم اوسكار بوضوح... ماالذي يحدث؟»

«لااعتقد ان هناك مايقلق حقاً، لقد قال ان لديه صداع لكنه الان يتناول فطوره.»

«اه، جيد، لدي رسالة هنا من ابنته، لم تقل تماماً متى ستحضر لتأخذه الى المنزل لكن اعتقد ان الامر اصبح قريباً جداً الان.»

قالت ديبورا بهدوء:«اني متأكدة انه سيسعد جداً، برؤيتها ثانية... اعتقد انه يحبها كثيراً.»

«اه، نعم، سنتحدث عن ذلك غداً، فليس هناك من وقت اليوم. نحتاج الى نصف ساعة لنصل. وعلينا ان نغادر بعد الساعة السابعة تماماً، هل تعتقدين انه بامكانك اقناع العم اوسكار بتناول عشاءه متأخراً قليلاً عن عادته وبذلك تتمكنين من رؤية ولدي؟»

قالت ديبورا:«سأتدبر الامر.» تعجبت ديبورا كيف انها تكلمت بطريقة عادية. بينما كانت ترتجف في داخلها من فكرة رحيلها قريباً مع انها كانت تعلم ذلك. بكل الاحوال عليها الانتظار الى الغد عندما تجد السيدة سوميز الوقت لتحدثها بالأمر. انهت فطورها بهدوئها المعتاد وعادت الى جناح العم اوسكار، الذي كان يتجول في غرفته، ويطلب الماء الساخن وابريق القهوة.

سألت ديبورا بهدوء:«هل تشعر بالتحسن من صداعك؟»

«صداع، آنسة؟ لم اشعر يوما بالصداع.»

كان صعب المراس طوال النهار، فلم تجد ديبورا الوقت لتهتم بمشاكلها الخاصة وعندما حان الوقت لمغادرة عائلة سوميز كانت متعبة وغاضبة ايضاً. كان العم اوسكار قد حاول اغاظتها وامتحان قدرة احتمالها الى الدرجة القصوى فشعرت براحة كبيرة عندما تركته يصرخ ويتحدث لنفسه بينما صعدت الى الطابق العلوي لترى

الطفلين. وهذا ماسمح لمدبرة المنزل ان تذهب الى المطبخ لتهتم بالعشاء، الذي انتهى بهدوء نسبي وبعد عدة العاب من الدومنو اراد ان ينام. دخلت ديبورا الى غرفة الطفلين قبل ان تذهب الى سريرها لتبقى مستيقظة وقلقة لفترة طويلة.

تناولت السيدة سوميز القهوة في جناح العم اوسكار في صباح اليوم التالي، وهي تحاول ان تخبرهم المزيد من الاخبار عن سهرة الامس. قالت: «لقد كانت سهرة رائعة، حشد كبير من الناس لم اقابلهم من قبل، لكن أمر ممتع ان يرى الانسان اصدقاءه القدامى. اصدقاء من ايام الدراسة لم ارهم منذ سنوات طوال، وتحدثت عن اصدقاء بقيت معهم فترة طويلة في السهرة، لقد كان لنا حديث مشوق وطويل.»

قال العم اوسكار انه يرغب في النوم، وضعت السيدة سوميز فنجانها ونظرت اليه لتتأكد انه نائم قبل ان تقول: «ستعود ابنته غداً... لم تكن تتوقع حضورها باكراً... اعتقد من الافضل ان نخبره عندما يصحو، ليبدأ بتوضيب اغراضه. مما لاشك فيه انه سيفتقدك.» ابتسمت لها ابتسامة صديقة وتابعت: «اتمنى ان يكون لديك عمل تذهبين اليه؟ شخص مثلك يستحق وزنه ذهباً. امكثي حتى نهاية الاسبوع وبذلك تتمكنين من اتخاذ اي قرار تريدينه...»

شكرتها ديبورا، فهي تحب السيدة سوميز، فهي حنونة ولطيفة وتهتم حقاً بمن هم دونها في الحياة. قالت لها ان نهاية الاسبوع تناسبها تماماً.

عندما علم العم اوسكار بالاخبار الجديدة، عبر عن فرحه لكن ليس بطريقة واضحة. في ذات الوقت كان يريد ان يعلم ماالذي سيحل بشأن ديبورا.

اراد ان يعرف فقال: «الى اين ستذهبين؟»

«الى عمل آخر.» قالت ذلك بحزم لتؤكد له ان هناك عملاً بانتظارها فعلاً.

قال بخشونة: «سأفتقدك، ايضاً.»

امضت بقية النهار وهي تعرض عليه كتبه واوراقه وكل تلك الاشياء الغريبة التي يجدها مهمة ومفيدة لراحته، وفي صباح اليوم التالي طلبت من اديت ان تبدأ بحزم تلك الاغراض.

كانت قد انهت نصف عملها تقريباً، جثت على ركبتيها امام المكتبة لتفرق بين ما سيأخذه وماسيبقى، عندما ظهرت أديت على الباب وقالت: «ضيوف لك، انسة ايفرت.» وابتعدت ليدخل كل من والتر وبربارة.

وقفت على الفور، وقد شعرت انه انعقد لسانها من الصدمة، خرج العم اوسكار من غرفة نومه وهو يحمل بيده رزمة من الجرائد القديمة وقال: «من هم هؤلاء الناس؟ هل دعوتهما؟»

«انني اسفة، سيد ترانت، هؤلاء الناس اتو لرؤيتي. أدخلتهما اديت الى هنا، أعتقد انهاظنت انني بمفردي.»

قال الرجل العجوز بضيق: «حسناً، لست بمفردك. ماالذي يريدانه؟»

تقدم والتر، وهو يمد يده ليصافحه: «دعني اقدم نفسي واقدم اختي؟ والتر وبربارة الاخوان لديبورا الغير شرعيين.»

تجاهل العم اوسكار اليد وقال: «حسناً، ماذا تريدان؟»

قال والتر بغرور واضح: «لماذا، لنرى ديبورا، لقد كنا

في الحفلة امس، مع اصدقاء قدامى لنا، وهم يعرفون جيداً السيدة سوميز، ويبدو انها تحدثت عن ديبورا، التي كنا نتساءل اين هي. ولم يكن هناك وقت افضل.» ابتسم قبل ان يتابع:«لقد سمعت انها ستغادر بين اليوم او الغد، وبالطبع، ستعود معنا الى البيت.»

قالت ديبورا:«لا، ولايمكنك ان تجبرني.»

سأل والتر:«ليس لديك عمل تذهبين اليه؟»وقبل ان تتمكن من التفكير بجواب مقنع تابع:«لا، اعلم، ان ليس لديك عمل... وفي هذه الحال ليس هناك من سبب يدعوك لعدم العودة معنا.»

قال السيد جيمس بصوت هادىء:«هناك سبب مهم جداً.» وأمسك بيدها، مماجعل قلبها يضطرب بشدة، وتابع:«انا وديبورا سنتزوج قريباً.»

ترك يدها ليضع ذراعه على كتفها ويتابع:«كم انا محظوظ انني اتيت في الوقت المناسب لأوضح لك الامر.»

الفصل السابع

قد يكون العم اوسكار عجوزاً وفظاً لكن ممالاشك فيه انه مازال نكياً.

قال: «آه، جيمس، كنت بانتظارك. اتيت لترى ديبورا. اليس كذلك؟» نظر الى بربارة ووالتر نظرة باردة وتابع:«ليس من حاجة لكما للبقاء هنا، اليس كذلك؟ يسعدنا اننا تعرفنا عليكما. يوم سعيد، سترشدكما اديت على طريق الخروج.»

قال والتر بغضب صارخ:«لااصدق ذلك.» رأى نظرة السيد جيمس الباردة فتابع مشككاً:«بالكاد لم نرها منذ فترة قصيرة.»

ابعد السيد جيمس يده عن كتف ديبورا وسار نحو الباب، لم يقل شيئاً بينما مر كل من والتر وبربارة امامه. فقط عندما اغلق الباب تفوه بكلمة تنم عن غضبه الشديد.

قالت بصوت ضعيف:«انني اسفة عما جرى. لم يكن لدي اي فكرة،لااعرف كيف اكتشفا انني هنا.»

قال العم اوسكار وهو ينظر اليها من فوق نظارتيه:«في الحفلة، اليس كذلك؟ سمعتهما يقولان ذلك. لقد سمعا اخباراً عنك ويريدانك معهما. اليس كذلك؟»

ارتجفت ديبورا وقالت:«لا استطيع ذلك...» نظرت الى السيد جيمس وقالت بهدوء:«اشكرك جداً سيد جيمس، ان تصرفك هذا بمنتهى اللطف.»وبالرغم من بذل مجهود كبير

سقطت دمعتان على خدها فأسرعت بمد يدها ومسحهما.

قال السيد جيمس بحزم وود بذات الوقت:«الان، لادموع. لن تذهبي معهما اذا كنت لاترغبين بذلك. انت بأمان تام هنا.»

اجاب العجوز:«لا، انها ليست بأمان هنا... فابنتي ستحضر اليوم، وعلى ديبورا ان تجد مكاناً آخر، الوضع قابل للتغير دائماً.»

«حلت المشكلة بسهولة. انني سأبقى هنا للغداء.كوني جاهزة للمغادرة عند الساعة الثانية بعد الظهر، ايمكنك ذلك؟»

«اغادر؟لكن الى اين سأذهب؟»

«ستبقين في أيد امينة حتى تجدين عملاً مناسباً. لاتناقشي كوني فتاة عاقلة. افعلي ماقوله وثقي بي.»

نظرت اليه نظرة جدية، كانت دموعها لاتزال تنهمر على خديها وقالت:«بالطبع اثق بك. ماكان عليك قول ذلك الكلام... اننا سنتزوج.»

قال بطريقة عادية:«هذا اول شيء خطر على بالي، وطالما لايعترضان طريقك ثانية، لن يعرفا ان الامور ليست كذلك حقاً.»

«حسناً، شكراً لك... انني ممتنة لك كثيراً.» تابعت بعد ان مسحت دموعها:«سأخبر السيدة سوميز انك هنا، أليس كذلك؟ انها في الحديقة مع السيدة هويش.»

سارت نحو الباب وعندما وضعت يدها على المقبض توقفت وقالت:«هل تعتقد انهما قد غادرا؟»

«اه... حماقة مني. سألقي نظرة.» مرّ السيد جيمس

امامها، واغلق الباب وراءه، فقال العم اوسكار:«رجل حكيم، هو جيمس. يمكنك الوثوق به.»

عاد السيد جيمس وبليوم يقفز امام قدميه. قال:«اكدت لي اديت انهما قد ذهبا.» امسك بالباب كي تخرج الى القاعة. هناك رأت اديت.

قالت لها باعتذار:«انني آسفة، آنسة. قالا انك بانتظارهما، وكانت السيدة سوميز في الحديقة.»

«لابأس، اديت، كم تكن تلك غلطتك. لقد رحلا الان.»

«نعم، انسة. انهما يمكثان عند اصدقاء للسيدة سوميز من اجل حفلة الامس.»

خرجت الى الحديقة ووجدت السيدة سوميز، كانت سعيدة ولم تعرف شيئاً بخصوص والتر وبربارة، فرحت اكثر عندما علمت بحضور السيد جيمس.

قالت:«هو في غرفة الجلوس، اليس كذلك؟»

«انه مع السيد ترانت. هل اقول له ان يذهب الى غرفة الجلوس؟»

«لا،لا. سأذهب وادعوه بنفسي، يمكننا تناول القهوة معاً...»

لم يبد لها الوقت مناسباً لتخبر السيدة انها ستغادر بعد الظهر، بكل الاحوال، السيد جيمس، بأسلوبه اللطيف المرن، سيتولى هذه المهمة.

فعل ذلك، بمنطق وهدوء وجعل الامر يبدو وكأنه الطبيعي والافضل للجميع، ماان علمت، السيدة سوميز، بما حدث، حتى قالت بأسف واعتذار:«لساني الثرثار.» كان علّي ان لاتكلم، والتحدث كما فعلت.» ابتسمت لديبورا باعتذار

وتابعت:«كنت اتفاخر بك بشكل كبير، على ماأعتقد. لم ار هؤلاء الاصدقاء منذ فترة طويلة وبالطبع كانوا يتكلمون عنك. لم يكن لدي اية فكرة، ديبورا..»

تمتمت ديبورا بعض الكلمات. فكل الذي يحدث مربكاً لها لسرعته، شيء وحيد كان يهمها، عليها ان تعرف الى أين سيأخذها السيد جيمس.

قالت السيدة سوميز:«علّي القول، انك تصرفت بغاية الذكاء،جيمس، ياله من أمر جيد...» لمحت الحذر بعيني جيمس فتابعت بدون ان تتوقف:«ديبورا، اذا كنت ستغادرينا بعد الغداء، عليك بتوضيب ثيابك. يؤسفني ان عليك الرحيل هكذا لكنك لاترغبين برؤية هؤلاء الناس ثانية، اليس كذلك؟ سنحزن جميعاً لرحيلك.»

ذهبت ديبورا، وهي تستمع الى ملاحظات العم اوسكار وتذمره كم ستكون الحياة مظلمة بدونها قال للسيد جيمس بصوت محترم:«سأحضر الزفاف.»

قال السيد جيمس بكبرياء:«بالطبع، ستحضر.»

فقالت السيدة سوميز:«انت تمزح، بالطبع.» وبعد قليل من التفكير سألت:«انت لاتفكر في الزواج، جيمس؟ بعد كل هذا الوقت...»

«لقد فكرت بذلك.»

«اه،جيد، اعتقد ان علّي ان اتوقف عن طرح الاسئلة.»

«هذا صحيح، لوثي.»

وقف العم اوسكار وقال:«مارأيك بلعبة شطرنج الان، فالغداء بعد ساعات.»

عندما عادت ديبورا الى الطابق الارضي، بعد ان انهت

توضيب امتعتها، ومرتدية بدلة مناسبة، وجدت الرجلين يلعبان، قال العم اوسكار:«اذهبي بعيداً، انسة.هذه لعبة جدية ولا اريد ان اشتت افكاري.»

نظرت الى لوحة اللعب ودرستها قائلة:«اذا حركت البيدق.»

«اه، اذهبي واغسلي شعرك او افعلي اي شيء تفعله النساء.»اسرع بامساك يدها قبل ان تغادر وقال:«سأفتقدك كثيراً.»

«وانا ايضاً، سيد ترانت، لكن العالم صغير جداً وسنلتقي ثانية.»

«لقد نسيت، من المؤكد انني سأرقص في عرسك.»

«اه، جيد،لكن انتظر كي اجد زوجاً لي، هل تستطيع؟»

«لاتدعي الامر يطول، فلن اعيش للأبد. الان اذهبي، لقد وضعني جيمس في موقف حرج واحتاج للتفكير.»

كانت تتمنى لو يخبرها السيد جيمس الى أين سيأخذها لكنه لم يتكلم، ذهبت تبحث عن السيدة سوميز ووجدتها في غرفة الجلوس ممددة على الصوفا وقد رفعت رجليها الى اعلى.

«مازلت اعاني من تلك الحفلة، ولايمكنني ان افعل ذلك بدون أن أنام وستمر ايام قبل ان اتمكن من القيام بشيء ما.من حسن الحظ ان ابنة عمي قادمة.» تابعت:«لقد اتصلت ببيتر،سيأتي الى الغداء ويعطيك شيكاً بالمبلغ، لكنك لاتشعرين اننا نتخلص منك؟»

«لا،بالطبع لا،سيدة سوميز .اعلم انك طلبت مني البقاء ليوم او اكثر لكن ليس هناك من حاجة لذلك حقا، وفي الحقيقة ارغب بالرحيل في اقرب وقت ممكن.والتر هو

انسان متصلب جداً، اتمنى ان لايحضر ويزعجك.»

قالت السيدة سوميز بفرح:«لن يلقى الا اجابات مقتضبة ان فعل، كما وانه، سيعتقد انك تزوجت جيمس، ولااعتقد انه يعرف من هو بكل الاحوال! لذلك اعتقد انه لن يراك مجدداً.»

قالت ديبورا:«نعم.» وهي لاتزال تفكر الى اين سيأخذها السيد جيمس، ربما يعرف مكاناً حيث يجد عملاً لها...

لم تجد الفرصة لتسأله، وصلت ابنة عم السيدة سوميز قبل الغداء مباشرة وكانت تبدو بصحة جيدة وبامكانها الاهتمام بوالدها، امضت ديبورا بعض الوقت معها لأن العم اوسكار، ماان سلم عليها، طلب منها ان تذهب لأنه يريد ان ينهي لعبة الشطرنج. كان الحوار الدائر على الغداء ينتقل من موضوع الى آخر وبعد ذلك اخذها السيد سوميز الى المكتب ليعطيها شهادة تقدير ومبلغاً من المال مع اضافة كبيرة لأنها كانت رائعة بمعاملتها للعم اوسكار واضطرت للرحيل قبل موعد انتهاء عملها. قال:«لم نكن نعلم ماذا كان سيحل للوثي بدونك. فالرجل العجوز انسان طيب لكنه أمر جيد انه سيعود الى منزله بعد يومين. لديك مايكفي من المال، اليس كذلك؟ اعتقد ان جيمس قد فكر بعمل مناسب لك... كانت ضربة حظ انه اتى في الوقت المناسب ليخلصك من اخوك واختك.»

وافقت بهدوء، لابد انها ضربة حظ لها، لكن الى اين سيأخذها؟ في اللحظة التي تصعد فيها الى السيارة ستعرف.

ماان قاد سيارته مبتعداً حتى لوحت بيدها الى المجموعة الصغيرة التي كانت تقف امام الباب الكبير

وبعدها جلست مرتاحة في مقعدها، كان بليوم كالمعتاد يلهث بسرعة ليعبر عن فرحه بوجودها.

قالت:«سيد جيمس...» وتوقفت عن الكلام، فهي لا تدري ماالذي ستقوله.

بكل هدوء وبساطة ساعدها قائلاً:«علي ان اعترف بإعجابي بمقدرتك على الصبر، ديبورا، تريدين حقاً ان تعرفي الى اين سنذهب، اليس كذلك؟»

بدت ساذجة وهي تقول:«حسناً، بالطبع أريد ان أعرف.»مع كل ماعانته من توتر هذا الصباح والسرعة في توضيب ثيابها ومغادرتها لمنزل آل سوميز.

قال:«الى منزل مربيتي العجوز. كنت ارغب في اخذك الى منزل أمي لكنها في سكوتلندا عند احدى شقيقاتي.»

«لكن قد لاترغب بحضوري...»

«سيسعدها ذلك كثيراً، فهي تحب ان تعتني بالناس، بالحيوانات، بالعصافير... اي شيء حي. ستبقين هناك ليوم او اكثر لتلتقطي انفاسك وتقرري ماذا ستفعلين.»

«حسناً، شكراً لك... علّي ان اجد شيئاً ما.» حاولت جهدها ان لاتبدو قلقة.

ذكرها بلطف:«ستفعلين. لم تحصلي على اي وقت لذلك بعد، اليس كذلك؟»

«لا، لقد كنت سخيفة... آسفة... ان كل شيء حدث بسرعة قصوى... ولم اتوقع ان ارى والتر وبربارة.»

قال بلطف شديد:«هل تخافين منهم؟»

«نعم، قليلاً... خاصة والتر... فهما لايحبان ان اعارضهما... كما تعلم.»

قال السيد جيمس بصوت جاف:«لم يعجبني، اعتقد انك ستكونين بأمان مع ناني وعندما تحصلين على عمل دعيني أتأكد انه مناسب قبل ان تقبليه.»

«انت لطيف جداً.»

«كنت لأفعل ذلك مع شقيقاتي اواصدقائي.»

ملاحظة مهمة جعلتها تشعر، اين موقعها بالضبط.

لايهم قالت بنفسها وقالت:«اين تقيم، مربيتك؟»

«شرق غارستون... شمال هانغر فورد. يمكننا ان نسير على الخط السريع طوال الطريق. انها تنتظرنا لنشرب الشاي معاً.»

نظرت اليه مستغربة فاضاف:«لقد اتصلت بها عندما كنت تجمعين اغراضك.»

جلست هادئة، تفكر ماهو الافضل لها. كانت تفكر اين تقع شرق غارستون لكنها بالقرب من هانغرفورد وبعدها سويدن وهنلي على التايمز وحتى ريدنغ ليست بالبعيدة، ومن المؤكد انها ستجد لنفسها عملاً في احدى هذه المدن. وقد تجد عملاً كمربية لأنها ليست بحاجة لتدريب او لشهادة، مع انهاتعلم كم تشعر بالارهاق من هذا العمل. عدة اشهر، او سنة على الاكثر لتوفر بعض المال ولتتعلم مهنة دائمة لها. ربما التمريض هو جواب لكل ماتريده لكنها ترددت ان تسأل السيد جيمس عن ذلك، قد يعتقد انها تتوقع منه ان يساعدها اكثر مما يفعل.

لم تكن المسافة كبيرة حوالي ١٢ ميلاً بعد ان مرا بسويدن انعطف السيد جيمس الى طريق فرعية ثم سارا مسافة في طريق ضيقة وتحف بها الاشجار، ليكمل ببطء

في انحدار خفيف. رأت قرية امامها جميلة، سطوح قرميدها الاحمر واكواخها البيضاء تزيد من جمالهامع جسر صغير فوق النهر الذي يمر امام ابوابها. توقف امام الكوخ ونزل من السيارة ليفتح باب ديبورا وليخرج بليوم الذي قفز بسرعة فوق الجسر لينبح بفرح للمرأة التي تقف امام الباب المفتوح.

كانت ديبورا تشعر بالقلق من المربية، فقد لاتعجب بها. فالمربيات جميعاً متحفظات وقاسيات القلوب. لم يكن عليها القلق مطلقاً، فلقد عانق السيد جيمس المرأة الصغيرة، وقبل خدها قائلا:«حسناً،تروتي، هذه ديبورا، اعلم انك ستهتمين بها جيداً.»

مدت ديبورا يدها لتصافحها بينما شدت المرأة العجوز على يدها بقوة وقالت وهي تنظر الى وجهها ملياً.«هذا وجه، احبه، ادخلا، الشاي حاضر وانت سيد جيمس، ابقي بليوم هادئاً وهنا... لأن مودي لديها اربعة هرر حديثي الولادة، وهم في المطبخ قرب المدفأة.»

ادخلتهما الى غرفة صغيرة، مليئة بالمفروشات، والعديد العديد من الصور بمختلف الاحجام وضعت اينما وجد مكان. رأت ديبورا طاولة صغيرة عليها غطاء ابيض مطرز وعليه صحون وفناجين شاي. كان هناك صحن من الخبز والزبدة، قالب حلوى ووعاء من سلطة الفواكه. قالت ناني:«لقد صنعت الحلوى هذا الصباح، لكن ستتناولان الخبز والزبدة اولاً.» ذهبت لتحضر الشاي وعندما عادت قالت:«اعتقد ان ديبورا ترغب بغسل يديها.» نهضت ديبورا على الفور وسارت معها على الدرج

الضيق. ماان وصلت الى الطابق العلوي حتى رأت فسحة ضيقة توصل الى ثلاثة ابواب. فتحت ناني احداهم وقالت:«ها قد وصلت، حبيبتي، المنشفة على المغسلة هي لك، وغرفتك هنا.»

فتحت الباب الثاني، وتابعت:«يمكنك ان ترتاحي بعد ان يغادر السيد جيمس، سأذهب لاحضر الشاي...»

ابتعدت بخطوات ثقيلة وعندما عادت ديبورا الى الطابق الارضي وجدت غرفة الجلوس خالية، قال السيد جيمس:«نحن هنا في المطبخ، تعالي وانظري الى عائلة مودي.»

كانت الهرة الصغيرة رمادية اللون مع بقع بيضاء على صدرها ومخالبها اما الهرر الصغيرة فقد كانت سوداء ورمادية اللون. قالت ناني:«انها جميلة، اليس كذلك. سأعطيك واحداً منهم، سيد جيمس، عندما يصبح قادراً على الابتعاد عن أمه.»

«شكراً لك، تروني، لا اعتقد ان تيبلز ترضى به.» نظر الى ديبورا وتابع:«تيبلز هي مديرة منزلي... ليس في الكوخ... بل في لندن.»

تناول الجميع الشاي والحلوى وقرر السيد جيمس الرحيل. قبل تروتي، واكد لديبورا انه سيراها ثانية في اي وقت. عاد الى سيارته عبر الجسر الذي قادها بعد ان لوح بطريقة عادية جداً.

شعرت ديبورا، انها تركت كرزمة من الرسائل البريدية. وفكرت، عليها ان تجد عملاً بطريقة سريعة اكثر لأن هذا افضل لها. فحب رجل يعاملها بطريقة

الاحسان تكون مقلقة ومزعجة. انه أمر مؤسف جداً، وبالرغم من كل هذا، لاتزال تحبه.

قالت ناني:«الان اصعدي الى غرفتك ورتبي ثيابك.»

أجابت ديبورا بضعف:«نعم، سيدة تروث.»

قالت:«لاداع لأن تناديني هكذا، عزيزتي، الجميع يناديني تروتي، لذلك اتمنى ان تفعلي مثلهم. يسعدني جداً ان اجد رفقة ما، فأنا احب مبادلة الحديث دائماً.»

رتبت ديبورا ثيابها في الغرفة الصغيرة ذات السرير الابيض والغطاء الملون والستائر المزركشة. كان هناك خزانة على أحد الجدران وعدد من الجوارير كذلك طاولة للمكياج.

عادت الى الطابق الارضي لتجد تروتي في المطبخ، تقلي المقانق، عندما قالت كم هي جميلة غرفتها، اجابت تروتي:«حسناً، عزيزتي، الاولاد يرغبون دائماً في القدوم الى هنا.» لم تقدم لها اية معلومات اضافية ولم ترغب ديبورا بالسؤال، جلستا وتناولتا العشاء بينما اخذت تروتي تخبرها عن اهل القرية، قالت اخيراً:«ستتعرفين عليهم قريباً، انهم لطفاء جداً.»

«حسناً، لااعتقد انني سأبقى هنا لمدة طويلة، اعتقد انني سأذهب الى هانغرفورد غداً اذا كنت لاتمانعين لأرى ان كنت سأجد عملاً.»

«ستأخذين بنصيحتي وتنتظري يوماً او اثنين، عزيزتي. لن يعجب ذلك السيد جيمس مطلقا. لقد اخبرني انك بحاجة للراحة... لأنك تعرضت لصدمة مزعجة، قال، من الافضل ان تتعرفي على المنطقة قليلاً، هل لديك مؤهلات؟» وعندما

هزت ديبورا رأسها بالنفي، تابعت:«اعتقد من الافضل ان تذهبي الى ريدنغ اوهنلي.»

نظفتا اوعية العشاء معاً وتناولتا فنجاناً من الشاي قبل ان ترسل ديبورا الى غرفتها بأفضل طريقة تهذيب، قالت تروتي:«نتناول الفطور عند الساعة الثامنة صباحاً، عزيزتي... واستحمي الليلة... فهناك الكثير من المياه الساخنة.»

كان هناك افادة من نصيحة تروتي. اخذت ديبورا تنظر الى برنامج الباص، وتقرر الى اية بلدة ستذهب اولاً. عليها الذهاب الى المصرف بكل الاحوال، فلديها شيك عليها ان تقبضه وتعلم ماهو حسابها بالتحديد قبل ان تسحب ماتحتاجه. عليها ان تدفع ثمن الانتقال ووجبات الطعام كذلك نسبة الوكالة التي ستؤمن لها العمل. كما عليها ان تشتري معطفا للشتاء قبل بدء فصل الامطار.

نزلت لتناول الفطور في اليوم التالي واخبرت تروتي انها ترغب بالذهاب الى نيوبري. لم تكن في المدن التي فكرت بها سابقاً، لكن يصل الباص اليها مباشرة وليست بعيدة، غير انها كبيرة كفاية لتجد مصرفاً فيها وعدداً من الوكالات.

قالت تروتي بجدية:«ينطلق الباص بعد نصف ساعة، يمكنك الذهاب، عزيزتي، والبحث عما تريدينه. هناك مقهى جميل وصغير في الشارع الرئيسي لكن عودي في الوقت المناسب لنشرب الشاي معاً. اتمانعين؟»

كانت مدينة نيوبري اكبر مما كانت تتوقع، تناولت فنجان قهوة، والقت نظرة سريعة على المحلات، وجدت المصرف وبعدها اخذت تبحث عن احدى الوكالات. وجدت

وكالة في شارع جانبي صغير وبما انهاتبدو وكالة ناجحة ومرتبة، دخلت اليها.

عادت الى الطريق بعد قليل، وهي تشعر بالسعادة من حظها الجيد. لقد وجدت ثلاث فرص للعمل وجميعها مناسبة...كلهم بحاجة لمساعدة أم وجميعهم في نيوبري. قدمت لها صاحبة الوكالة نصيحة ان تكتب لهم جميعاً قبل ان تذهب الى المقابلات. وعليها ان تدفع ثمن ذلك، بالطبع، واذا حصلت على عمل من العروض الثلاث عليها ان تدفع نسبة من اجر اول اسبوع ايضاً.

لم تضيع اي وقت، لقد اعتمدت على حظها الجيد واشترت اوراقاً ومغلفات ووجدت مكتباً للبريد حيث كتبت الرسائل الثلاث ووضعتهم في البريد. بعد ان انتهت، وجدت المقهى الذي اخبرتها عنه تروتي وتناولت وجبة طعام شهية بعدها تجولت قليلاً. فهي بحاجة الى بعض الاشياء للعمل الجديد.

اخبرت تروتي كل ماحدث معها طوال النهار عندما رجعت. اصغت تروتي بدون أية مقاطعة وعندما انتهت قالت لها:«قال السيد جيمس انه سينظر بنفسه الى العمل الذي ستختارينه، ألم يقل ذلك؟ من الافضل ان تنتظري وتفعلي مايقوله.»

وافقت ديبورا على مضض قائلة:«اذا لم اسمع اي خبر منه في غضون عدة أيام، أعتقد من الافضل ان أذهب لاجراء المقابلات فقد اخسر عملاً جيداً. انني متأكدة ان السيد جيمس مشغول جداً ولديه الكثير من الاعمال الاخرى ليهتم بها.»

قالت تروتي:«سيتصل بنا، انني متأكدة من ذلك.»

تلقت ديبورا اجوبة على رسائلها، يطلبون منها الذهاب الى مقابلاتهم، ولم تسمع اي كلمة من السيد جيمس. انتظرت تروتي خروج ديبورا الى دكان القرية وبعدها اتصلت بمنزله في لندن. اجابها، دوبس، بصوته الصارم المعتاد انه غادر الى بلاد بعيدة لمعاينة شخص مهم ومسؤول تعرض لأزمة قلبية او شيء من هذا القبيل ولم يقل متى سيعود.

لم تقل تروتي انها اتصلت لكنها قرأت الرسائل بعناية واهتمام ووافقت على مضض ان على ديبورا الذهاب لترى ماهية هذه الاعمال. لذلك اتصلت ديبورا وعينت موعداً واستقلت الباص الى نيوبري ثانية.

لم يكن العمل الاول جيداً، فسيدة المنزل تريد فتاة قوية قادرة على حمل أمها المريضة والاعتناء بها. لقد اتفقتا معاً انها غير مناسبة لمثل هذا العمل. كان العمل الثاني اكثر ايجابية حتى علمت ان احد الاطفال الاربعة لتلك العائلة لديها اعاقة وان على ديبورا الاهتمام بها في الليل والنهار. في المنزل الثالث وجدت ان العمل اكثر من مناسب. رأت غرفتها صغيرة لكن مرتبة ونظيفة كما ان لديها وقت فراغ كل يوم. لابد ان تساعد في بعض الاعمال المنزلية، بالطبع، لأن هناك ثلاثة اولاد يذهبون الى المدرسة لكن هناك خادمة تحضر كل يوم الى المنزل. يقع المنزل في مكان جميل من المدينة كما ان الراتب جيد وان لم يكن مغرٍ. وافقت ديبورا على البدء بعملها بعد مرور يومين فقط، وبعد احساسها بالامان انها وجدت عملاً جديداً ذهبت الى متجر انيق واشترت معطفاً للشتاء.

عادت الى تروتي وهي تشعر انها فعلت شيئاً مفيداً. اما

فكرة ان السيد جيمس سيوافق على نوع عملها لم تعد تزعجها لأنه مرّ وقت كاف منذ ذهابه وهي بحاجة للعمل في اقرب وقت ممكن.

عندما صعدت ديبورا الى غرفتها لتنام عادت تروتي واتصلت بمنزل السيد جيمس. اجاب دوبس انه لم يسمع اية كلمة من السيد... بدا عليه الحزن والاحباط اكثر من المرة السابقة... لكنه اشار انه من النادر ان يعلمه متى سيعود. فقد يعود بعد ايام، من مكان بعيد جداً.

قالت تروتي:«حسناً، دعني اعلم متى يعود. الامر مهم وطارىء.»

* * *

شعرت ديبورا بالحزن لمغادرتها الكوخ الجميل ولطف صاحبته. رفضت تروتي ان تساعدها في المصروف لذلك ذهبت الى هانغرفورد واحضرت مجموعة اواني للشاي. لم تعتقد ان تروتي ستستعلمها لكنها قد تفعل ان اتاها زائر وبدا انها سعيدة بها.

لم يكن هناك فرصة لديبورا لتتذمر. كانت السيدة وودس لطيفة والاطفال هم فرح للحياة... كانت قد قابلتهم عندما ذهبت لزيارة البيت للمرة الاولى وكانوا قد تقبلوها كفرد من العائلة... لكن بعد مرور يومين واكثر وجدت ان عليها العمل اكثر بكثير مما قيل لها. كانت الخادمة تأتي ساعة تشاء وقد تقرر عدم المجيء ايضاً وبذلك تعمل ديبورا مكانها اضافة الى ان السيدة وودس مصابة بألم في رأسها مزمن. على الرغم من كل ذلك، كانت مصممة على ان تنجح في علمها وعندما كانت تكتب لتروتي كانت تصف لها

صورة مفرحة وسعيدة عن حياتها. كانت تشعر بالوحدة بعد العطف والحب اللذين احاطتهما بها السيدة تروتي كذلك تفتقد لمودي والهرر الصغيرة وفوق كل هذا اكثر ماكان يسيء اليها ان السيد جيمس لم يحافظ على وعده لها.

لقد كان كثير الانشغال، وهذا ماتفهمه جيداً، كما ان لديه العشرات من الاصدقاء فمن السهل عليه ان ينساها. لكن الامر المؤسف، انها لاتستطيع ابداً ان تنساه.

لم ينسها قط، بل اجبر على الاقامة في مكان بعيد في العالم في اقاصي الارض ليفعل مايستطيع لابقاء شخص بصحة جيدة حيث من الاهمية ان يبقى كذلك، كان قد ابعدها الى داخل ذاكرته بينما كان يعمل بمهارة لمعالجة هذا الوضع الخطر. وكان الاتصال من ذلك المكان أمر صعب جداً. لكنه كان رجل ذو صبر وسيطرة على النفس مشهود له بهما وفي الوقت الحاضر ليس هناك مايستطيع القيام به.

كان قد مضى على ديبورا عند السيدة وودس اكثر من اسبوع عندما اصبح الابن الاكبر مريضاً، اخذ يسعل وتتساقط الدموع من عينيه، لم يمض وقت طويل حتى ظهرت حبوب حمراء على جبين الولد فوضع على الفور في سريره.

قالت السيدة وودس:«انها الحصبة، واعتقد ان اخويه سيلتقطانها منه.»وهذا ماحصل في ذات اليوم عندها اعلنت السيدة وودس ان عليها البقاء بغرفتها بسبب الميغرين، وقالت الخادمة انها لن تعمل طالما هناك مرض في المنزل، وغادرت على الفور.

اصيب الاطفال بحرارة وألم شديدين فأجبرت ديبورا على السير بخطوات ناعمة لتدخل الى غرفة السيدة

وودس وتسألها ان كانت تستطيع طلب الطبيب للأطفال.

قالت السيدة وودس:«انها مجرد حصبة عادية، لكن اعتقد من الافضل ان يحضر.»

حضر الطبيب وقد كان لطيفاً، لكن مرهقاً رغم ذلك عاين الاطفال، وقال ان عليهم ان يبقوا في السرير في غرفة مظلمة وقال انه سيحضر ثانية اذا ارادت ديبورا ذلك.

لم يكن هناك من وقت لتطلب ذلك. فقد كان السيد وودس مسافراً لعمل ما، وسيغيب عدة ايام، فاعلنت السيدة انها لاتملك القدرة عن رفع رأسها عن الوسادة. تابعت ديبورا عملها بصعوبة جداً خلال تلك الايام، وقد شعرت بالسعادة ان الاطفال بدأوا يتحسنون بسرعة فائقة وان السيدة وودس اخذت تشارك ببعض اعمال المنزل السهلة. على الاقل، اصبحت افضل، فبامكان ديبورا الذهاب الى التسوق واحضار الطعام. مرّ اسبوع آخر عندما وجدت ديبورا، بعد ليلة من الارق، ومعاناة من البرد الشديد، ان هناك بقع حمراء على جبينها وهي تنظر الى نفسها في المرآة.

كان من المزعج ان تقول شيئاً، ارتدت ثيابها، وهي تتمنى ان تشعر بحالة افضل بعد قليل من الوقت، لكن البقع كانت قد انتشرت في جسمها وهي تنزل الى الطابق الارضي، فلم يكن هناك من سبب لعدم إعلام السيدة وودس.

تلقت السيدة الخبر ببرودة وقالت كأنها تريد ان تعلم:«ومن سيهتم بالاطفال؟ اشعر ان صداعي سيبدأ وببساطة لااستطيع التحمل. عليك القيام بكل ما تقدرينه لأفكر بما سأفعل، وبكل الاحوال، انها مجرد حصبة فقط.»

لم تكن ديبورا تصغي اليها، كانت تشعر بالمرض والبقاء

واقفة اصبح أمراً صعباً جداً عليها، كما وانها كانت تشعر بالبرد الشديد... حاولت ان تعتذر بصوت ضعيف لكنها وقعت ككومة من الثياب على سجادة غرفة نوم السيدة وودس.

رجع السيد جيمس، اخيراً الى بيته في لندن، قابله دوبس في القاعة وهو يبدو حزيناً اكثر من العادة، تبادل السيد جيمس معه التحيات المعهودة وسأله ان كان هناك من اخبار وتابع:«جيدة ام سيئة، لأنه يبدو عليك ستتكلم على الفور.»

قال دوبس:«حسناً، انا هكذا وسأتكلم، انها المربية تروث تتصل بي دائماً لشيء مهم... وتريد ان تتحدث معك لحظة وصولك وانا لااعرف اية فكرة عن عودتك، اعتذر منك، سيد جيمس، ليس من عادتك ان تتأخر علينا هكذا....»

خلع السيد جيمس معطفه واعطاه الحقيبة، وقال بحدة:«متى اتصلت تروتي لأول مرة، دوبس؟»

قال خادمه الحريص دائماً عليه:«منذ فترة طويلة جداً، لاشيء يتعلق بفتاة شابة تريد ان تعمل، لكن في الايام الاخيرة انها تتصل دائماً كل يوم تقريباً...واحياناً مرتين باليوم الواحد.»

اسرع السيد جيمس بالدخول الى مكتبه، مستقبلاً ترحيب بليوم بفكر ذاهل واخذ الهاتف بيده متصلاً، بعدها قال:«ماالأمر تروتي؟»

لم تضيع الانسة تروث اي وقت لتسأله عن صحته وعن رحلته قالت:«ديبورا... انها تراسلني باستمرار مرتين في الاسبوع ولم اسمع منها كلمة منذ اربعة ايام

وهذا ليس من عاداتها، كما وان لدي حدس مابشأنها.»

«اين هي... تروتي؟»بدا مهتماً جداً مما جعلها تهدأ قليلاً وتقول:«هذا ماحدث... لقد انتظرت لتسمع خبراً منك بعدها وجدت عملاً في نيوبري، لقد اعتقدت انك نسيتها، كانت متأكدة جداً من ذلك، وقالت ان العمل جيد وليس عليها ان تخسره، ذهبت منذ اسبوعين او اكثر تقريباً، ووعدت ان تراسلني مرتين في الاسبوع ولغبائي لم اطلب منها رقم هاتف السيدة التي تعمل عندها.»

«لديك عنوانها؟»

نظر السيد جيمس الى ساعته، كان قد عاد من رحلة طويلة، وهو متعب وجائع كما ان هناك الكثير من الاعمال بانتظاره.

قال:«هناك اكثر من عمل علّي الاهتمام به، تروتي، لكنني سأكون عندك بعد الظهر. لاتقلقي... لابد ان الرسالة قد ضاعت او ان ديبورا نسيت ان تكتب.»

اقفل الهاتف وذهبت ليستحم ويحلق ذقنه، ارتدى ثيابه ونزل الى الطابق الارضي، حيث وجد دوبس هناك الذي قال له:«ستتناول فطورك الان، سيدي... على الانسان ان يهتم بجسده وروحه معاً. لقد وضعت الرسائل على الطاولة بقربك وبذلك تتمكن من القيام بالعملين معاً.»

وضع السيد جيمس يده على كتف دوبس وقال:«ماذا كنت سأفعل بدونك، دوبس؟ قل للسيدة دوبس انني اتضور جوعاً.»

كان يعمل وهو يأكل، وماان انتهى حتى كان قد اهتم بالرسائل، واتصل بمساعده، وبسكرتيرته، وعدد من تلاميذه في المستشفى، وقرر عمله لأسبوع قادم. عندما

انتهى، طلب من دوبس ان يحضر له حقيبته لأنه سيخرج ثانية، صعد الى السيارة وبليوم معه وقاد سيارته باتجاه كوخ تروتي.

كانت تروتي قلقة جداً، قالت:«ماكان عليّ ان ادعها تذهب، لكن كيف كان بامكاني منعها، مصممة كما هي عليه...؟»

قال: «لاتضعي اللوم على نفسك، تروتي، انها غلطتي، لقد اتاني اتصال عاجل لمعالجة مريض في اقاصي الارض، ولم يكن لدي فكرة انني سأبقى معه كل تلك الفترة. الان، اعطني العنوان وسأذهب لأرى ماالذي تفعله ديبورا.»

«انها فتاة غالية... لاتغضب منها، سيد جيمس.» وتابعت بلهجة المربية تماما:« انت تحبها، اليس كذلك؟»

ابتسم لها وقال:«اه، نعم، تروتي، احبها. سنعود على الفور.»

ترك بليوم في السيارة وقرع باب السيدة وودس وعندما فتحت له قال:«عمت مساء، لقد علمت ان الانسة ديبورا ايفرت تعمل هنا. أتساءل اذا كنت استطيع رؤيتها؟»

نظرت اليه السيدة وودس بعينين حادتين:«تعمل عندي؟ هذه مزحة. لقد التقطت مرض الحصبة من الاطفال وهي نائمة في السرير وانا مع ألم رأسي الدائم والخادمة لم تأت... من انت، بكل الاحوال؟»

«جيمس مارلو. انني طبيب وصديق قديم لعائلة الانسة ايفرت، لقد سمعت انها تعمل هنا واتيت لرؤيتها. لم يكن لدي فكرة انها مريضة.»

«انها هنا منذ اسبوعين تقريباً. وقد ناسبتنا جميعاً لكن

بالطبع لاستطيع ان ابقيها مريضة في السرير، عليها ان تذهب.»

«بالطبع، سيدة...؟» توقف ليتذكر اسمها وهو يبتسم ثم تابع:«وودس؟ اذا كان ممكنا استطيع اخذها الى منزل صديقتها واحررك من هذه المسؤولية.»

«حسناً، من الافضل ان تدخل. انت طبيب، اليس كذلك، وانت تعرف ديبورا؟»

«بالطبع انا طبيب واعرفها.»

سارت امامه على الدرج وهي تقول:«انني اسفة على الفوضى التي تعم المكان... فالأطفال الثلاثة عانوا من الحصبة كذلك ألم رأسي...»

كان يسمع صوت الاطفال، ويبدو انهم يتشاجرون. توقفت السيدة على الدرج لتقول:«زوجي ليس هنا الآن... انه بحار، وليس لديه اية فكرة عن مشاكلنا. لم اكن اعلم انني سأعيش هكذا، ايها الطبيب.»

فتحت احد الابواب وتبعها الى الداخل. كانت ديبورا مستلقية على السرير، وشعرها الاحمر مبعثر على الوسادة. كانت عيناها ووجهها مليئتان بالحصبة.

كانت تبدو ضعيفة جداً وغير نظيفة وفوق كل هذا تبدو مريضة حقاً.

وقف السيد جيمس ينظر اليها من آخر السرير وفكر انها اجمل فتاة رأتها عيناه في العالم كله في ذات الوقت سخر من نفسه على هذه الفكرة. لم يسمح لافكاره ان تظهر على وجهه:«يبدو ان الانسة ايفرت مريضة. هل اتصلت بالطبيب؟»

بدا على السيدة وودس انها مذنبة وقالت:«حسناً، لقد فكرت باحضاره اليوم. لقد اتى لرؤية الاطفال، لكنها ليست سوى حصبة عادية... انظر كم تعافى الاولاد بسرعة.»

لم يجب بينما كانت ديبورا تسعل بألم، فتحت عينيها، وقالت بصوت مبحوح:«الحضور متأخراً افضل من عدم الحضور على الاطلاق.» وتابعت غاضبة:«لقد نسيت لكن لابأس. ارجوك اذهب فأنا لاشعر انني بخير.»

امسك يدها الساخنة وقال:«لقد اتيت لاعيدك الى تروتي ثانية.»

«لن اذهب... كل هذا العمل الاضافي لها.» واخذت تسعل ثانية.

قال بهدوء وحزم معاً:«لايمكنك البقاء هنا، لدى السيدة وودس ما يكفيها من الاعمال كي تتمكن من الاعتناء بك ياديبورا.»

فتحت عينيها ثانية وقالت:«اه، انني اسفة انني مجرد انسانة مزعجة. يمكنني الذهاب الى المستشفى.»

قال بصوته الهادىء المشجع:«دعي الامور كلها عليّ.» وبما انها كانت متعبة وتشعر بألم في رأسها، اغمضت عينيها ثانية ونامت.

شعرت بعد وقت قليل ان هناك من يزعجها لكنها كانت متعبة جداً كي تستيقظ.

االفصل الثامن

عندما استيقظت ديبورا وجدت نفسها في غرفتها الجميلة في كوخ تروتي. كانت تروتي تجلس على جانب من السرير والسيد جيمس على الجانب الآخر. كانا ينظران اليها، ناني تفكر ان عليها مساعدتها على الاستحمام، بينما كانت نظرات جيمس تعكس، ان الامر سيء جداً، فلقد دخلت ديبورا حياته ولن يتخلص منها نهائياً.

كان لديه صفات رائعة كطبيب. قال بصوت هادىء يوحي بالراحة:«لقد عدت الى تروتي، ستعمل على راحتك كي اتمكن من معاينتك. فأنت تعانين من حصبة قوية.»

لم تكن ديبورا قادرة على الإجابة، كانت تبحث عن جواب مهذب عندما غادر الغرفة. شعرت بالانزعاج واخذت تبكي، كانت الدموع تنهمر على خديها الحمراوين. قالت تروتي تخفف عنها:«هيا،الان، كل شيء على خير مايرام، عزيزتي، فقط دعي العجوز تروتي تحضر لك الحمام الساخن وتبدل ثيابك.» وعانقت ديبورا قبل ان تذهب.

بعد مرور نصف ساعة كانت ديبورا تستلقي على وسادتها. فقد شعرها لمعانه لكنه على الاقل نظيف وممشط الى الوراء، كذلك اصبحت نظيفة وترتدي احدى ثيابها القطنية للنوم، تمنت لو ان لديها شيء اجمل ترتديه لكن هذا لايحدث فرقاً في الحقيقة... فكل الحرير والدانتيل في العالم لن تخفي جسدها المبقع.

كانت تروتي سريعة ولطيفة جداً لكن ديبورا كانت متعبة. اغلقت عينيها، سعيدة انها نظيفة ومرتاحة الان، كانت ترغب بالنوم.

لكن السيد جيمس عاد، جاعلاً كل ماحوله ضئيلاً بسبب قامته الهيفاء قال بصوت عادي:«هذا افضل، سأعاينك الان، ديبورا. لديك سعال قوي واريد ان اتأكد ان حالتك ليست اسوء من ذلك.»

فتحت احدى عينيها وقالت:«اه... نعم، بالطبع، اشعر انني افضل بكثير شكراً لك.»

تجاهل كلامها المنمق بينما نزعت تورتي اغطية السرير وقالت:«والان افعلي مايقوله لك السيد جيمس. عزيزتي.»

وهكذا تنفست ديبورا شهيقاً زفيراً اكثر من مرة، سعلت، وبعدهاطلب منها ان تخرج لسانها ليرى حلقها ثم عاين عينيها واذنيها. فكرت انه يقبض الكثير من المال ليقوم بذلك، فجأة شعرت انها بحاجة كي تعلم، فقالت:«هل لديك مرضى كثيرون يعانون من الحصبة؟»

لم يكن، السيد جيمس، قد عاين مرضى الحصبة منذ زمن طويل، فأكد لها انه لم يفعل ذلك سابقاً.

ستشعر بتحسن بعد يوم او اكثر، هذا ماقاله بصوت لطيف ومنخفض كل ماعليها القيام به هو ان تبقى هادئة في السرير، تتناول الدواء في وقته وتأكل وتشرب كل ماتقدمه لها تروتي.

«هل سترحل ثانية؟»

جلس بانتباه على جانب السرير وقال:«نعم، لكن سأعود لأرى كيف اصبحت.»

«سأكون بخير، حقاً. ليس من داع لتزعج نفسك. اتوقع انك مشغول جداً.» توقفت عن الكلام لتسعل.

«نعم، ديبورا، عليك ان تفعلي ماقلته. هل هذا مفهوم؟ تعانين من التهاب في الصدر كذلك الحصبة. وهذا ماستتخلصين منه بالمضادات الحيوية لكن أصر على ان تفعلي كل ماتقوله تروتي.»

قالت:«اعدك بذلك.»

«جيد، والان عودي الى النوم.»

هذا مافعلته وعندما استيقظت، شعرت بنفسها افضل بكثير، علمت من تروتي ان السيد جيمس قد عاد الى لندن، تابعت:«عليه ان يهتم بعمله.» تمتمت تروتي:«كان افضل له ان يشرب الليموناضة، ويرتاح قليلاً، لكن غيابه كل تلك الفترة، جعلت اعماله تتكاثر.»

سألت ديبورا بصوت ضعيف:«هل كان في عطلة؟»

«لا، عزيزتي، لقد كان بعيداً الاف الاميال لمعاينة مسؤول كبير، وليس ذلك المكان الذي تستطيعين الذهاب اليه ساعة تشائين. الان عودي الى النوم وسأحضر لك العشاء بعد قليل وعليك ان تتناوليه كله.»

مرت عدة أيام قبل ان تشعر ديبورا انها اصبحت افضل. أحزن اوقاتها عندما تفكر بالسيد جيمس. كل صباح تنهض وهي تأمل انه قد يأتي، بعدها تقول لنفسها انه رجل كثير الانشغال ولديه حياة خاصة، ليس هناك من حاجة له ليزورها. كان بامكانه ان يتصل، كانت تفكر بقلق، لكن لماذا سيفعل؟

كان يتصل كل ليلة، بعد فترة طويلة من ذهابها للنوم،

ويستمع الى معلومات مفصلة عن يومها من تروتي، وفي احدى الليالي، اتى في وقت متأخر جداً. سار بخطوات ناعمة على الدرج الضيق ووقف بجانب سريرها،ينظر اليها انحنى وقبلها بنعومة وعاد الى الطابق الارضي حيث كانت تروتي تنتظره، وقد اعدت القهوة والسندويشات.

قالت تروتي بحزن:«كان عليك ان تكون بسريرك الان.»

«القيادة مريحة جداً، عزيزتي، كمانه لايوجد لدي مرضى حتى منتصف النهار غداً.» نظر اليها بامعان وقال:«لاتشعرين بالتعب؟ قولي كلمة واحدة وسأحضر لك من يساعدك في غضون ساعتين.»

«منذ متى وانا احتاج للمساعدة، سيد جيمس؟ شكراً على كل الاحوال. فالفتاة لاتسبب لي اي ازعاج... إنها صافية كالذهب الخالص وهي تفعل كل مايقال لها. لكنها مع ذلك غير سعيدة.» سكبت تروتي المزيد من القهوة وقالت:«ماالذي سيحدث لها؟»

نظرت اليه من فوق نظارتها وعندما لم يجب هزت رأسها وقالت:«حسناً، حسناً... اتمنى ان اعيش لارى ذلك اليوم...»

اعطى السيد جيمس بليوم ماتبقى من سندويشه ونهض ليرحل. عانق مربيته وقال:«اهتمي بها جيداً، تروتي، واهتمي بنفسك. علّي الذهاب الى ادينبرغ ليومين او اكثر لكنني سأعود عندما اقدر. اذا كنت بحاجة لي، اتصلي بدوبس... فهو يعرف اين اكون.»

«هل أخبر ديبورا انك أتيت الليلة؟»

«لا، لاتفعلي ذلك، عزيزتي.» صفر لبليوم الذي كان يبحث عن المزيد من الطعام، وصعد الى سيارته وقاد مبتعداً.

بينما كان يقود كان يفكر بالمستقبل. فهو يحب ديبورا حباً عميقاً، لكنه ليس متأكداً انها تبادله هذه العاطفة.بدا له كرجل ذو مبادىء عالية، ان اي شعور تجاهه سيكون مبني على عرفان الجميل واستغلال هذا الامر ليس من مبادئه. الان، ماذا سيفعل بها؟ ستحصل على عمل جديد؟ مكان ما يستطيع ان يراها فيه بصورة دائمة؟ يقنعها ان تبقى مع تروتي؟فكر انه من المستحيل ان تقبل اي احسان منه بعد. هل عليه ان يدعها ترحل؟ يدعها تجد عملاً جديداً وهكذا تشعر بالحرية كي تعيش حياتها، تجد اصدقاء جدد، وربما تقابل شاباً تحبه وتتزوج. يبدو ان هذا هو الجواب المناسب.

سيذهب لرؤيتها ثانية، بالطبع، حتى تصبح بأمان ستبقى تحت رعايته، لكن عندما تستعيد قوتها وتعمل ثانية سيعمل على ابعاد نفسه عنها، تاركاً اياها تجد نفسها. فقط يريد ان يعلم اين هي في حال احتاجت الى مساعدة ليكون بجانبها.

لم تكن ديبورا، تعلم ان مستقبلها قد رسم لها بطريقة لن تسرها ابداً. تحسنت صحتها بسرعة، وعاد اللون الى خديها والى شعرها. لكنها ستكون سعيدة جداً لو انها تتمكن من رؤية السيد جيمس الان ودائماً، لكنه مر اسبوع آخر قبل ان يصل باكراً ذات صباح فيما كان بطريقه الى الكوخ، هذا ماقاله لهما، وفكر ان عليه ان يمر ويرى كيف اصبحت ديبورا.

قالت له:«انني بألف خير الان، وأرغب بالبحث عن عمل جديد.»

موافقته السريعة جعلت قلبها يغوص، انه يريد التخلص منها وهي لاتستطيع ان تلومه لكن كيف سيكون لها مستقبل

بدونه، وحتى مجرد رؤيته ولو للفترة قصيرة، أمر صعب احتماله.

سألها:«هل لديك اية فكرة عن عملك الجديد؟ نوع من التدريب، كمربية اطفال، كل ماتفعلينه جيد لكن لن يساعدك ان عملت من كل قلبك.»

لم تكن ديبورا، تعلم انه يفكر بها كأمر مهم للغاية وذات قوة فعالة، لم توافقه لأنها اعتقدت انه يتوقع ذلك.

قالت بحماس ظاهر:«سأتعلم الاختزال والطباعة في معهد، فأنا املك مايكفي من المال.»

«رائع، والى اين ترغبين بالذهاب؟»

وبما انها لم تفكر بذلك الا الان، فلم يكن لديها اية فكرة عندما قالت:«اه، لندن. اعتقد ان عملت بجهد سأتمكن من ايجاد عمل على الفور.»

كان لدى السيد جيمس شكوك بهذا الموضوع فهو لم يكن متأكداً انها ستتمكن من النجاح بدراستها كما تتكلم. مهما يكن، يجب ان تجد الفرصة لترى المزيد من الحياة. علق ببساطة انها تبدو قد نظمت مستقبلها بشكل جيد وانه لايجد سبباً كي لاتنجح بذلك.

تناولوا القهوة معاً، والان بعد ان قرر مستقبلها، لم يعد هناك من حاجة للتكلم. ودعها بطريقة عادية جداً قطعت روحها وقلبها معاً وجعلت تروتي منذهلة. لقد كان جيمس دائماً كتوم جداً، حتى عندما كان طفلاً. فلماذا لايمسك بيد الفتاة ويركض بها ليتزوجا فهذا ما لم تفهمه.

بعدما رحل قالت تروتي:«هل انت متأكدة ان هذا

ماترغبين به، عزيزتي؟ فلندن مكان كبير واين ستعيشين هناك؟»

«حسناً، سأجد غرفة بقرب المكان الذي سأتعلم به... فهناك الكثير من المعاهد، كما تعلمين، واذا عملت بجهد سأتمكن من الحصول على عمل جيد في خلال عدة اشهر.»

قالت تروتي موافقة بدون اقتناع:«حسناً تعرفين اكثر مني، لكنك ستدعيني اعرف اين ستسكنين، عزيزتي، وعليك ان تعديني انك اذا كنت غير سعيدة او انتهت اموالك ستعلمينني على الفور.»

قالت ديبورا واعدة:«بالطبع سأفعل.» ابقت يديها وراء ظهرها. فلديها عاطفة قوية وصادقة لدى تروتي لكن لديها كل النية ان تختفي الى الابد ماان تغادر الكوخ. فالسيد جيمس يتوقع ان تجد حياة جديدة لنفسها، وبالنهاية، لقد وصفها انها فتاة للعمل، ومن الافضل ان تكون كذلك، ترتدي بدلة للعمل جميلة وحذاء ايطالي وشعر يلمع كالذهب لكن لامال لديها للبدلات وللأحذية ولاشيء في العالم يستطيع تغير لون شعرها من الاحمر الى الاشقر الذهبي. لكن ليس هناك من سبب لذلك، غير انه ان حالفها الحظ ستحصل على نجاحها في الحياة. ادركت ان ماتفكر به لاقيمة له لكن عليها ان ترفع من معنوياتها.

الان عليها ان تجعل ماقالته واقعاً، فاتصلت بعدة وكالات و مدارس تجارية وصرفت وقتاً كافياً لدرس كل طلب. معظمهم يعرض عليها وعداً بالنجاح بسرعة وبأجور مرتفعة لكن المعهد الوحيد التي امكنها ان تتعلم به لايقدم اية ضمانات، فقط يذكر انها اذا انهت تدريبها بنجاح يمكنها ان

تجد عملاً كسكرتيرة عادية. تدفع المصاريف كل اول شهر ويتضمن ذلك الطباعة والاختزال، وللذي يرغب هناك دورة لتعليم الكمبيوتر. كان لديها مايكفي من المال لتدفع لمدة ثلاثة اشهر، مع ان المعهد اقترح عليها ان ثلاثة اشهر اضافية افضل لها. وعلمت ان بامكانها ايجاد غرفة بايجار معقول. لكن عليها ان تغادر بعد ثلاثة اشهر، بالطبع، لكن ان كان بامكانها في هذا الوقت النجاح بالطباعة والقليل من الاختزال فقد تحاول ان تجد عملاً لها.

رأت ان ايجاد غرفة أمر صعب عليها فليس من المعقول ان تذهب الى لندن وامضاء يوم للبحث عن مكان اقامة كمانه لايمكنها الوصول الى المدينة وليس لديها مكان تنام فيه... قدمت تروتي لها يد المساعدة. فلديها صديقة، لم ترها منذ سنوات لكنها لاتزال تتراسل معها، قد ترملت مؤخراً، وتعيش، لحسن حظ ديبورا، بعيدة قليلاً عن معهد دراستها. وتروتي متأكدة انها ستسعد ان تمكنت من ايجار غرفة لديبورا.

قالت تروتي:«انها امرأة لطيفة، لكن مما اعرفه عنها مؤخراً انها تمضي معظم اوقاتها بمراقبة التلفزيون. يمكنك البدء عندها، والبحث عن غرفة جديدة بعد ذلك.

لم تكن سعيدة على الاطلاق لترك ديبورا تذهب الى لندن،كانت متأكدة تماما ان السيد جيمس قد وقع في الحب اخيراً وانه وديبورا سيتزوجان لكن يبدو الان أنها مخطئة، لايعقل ان يكونا قد تشاجرا، فهما لايجلسان بمفردهما مطلقاً، كما انه لم يمر امام الكوخ منذ عشرة أيام .وفكرة انه تعلق بفتاة أخرى في

لندن اصبح أمراً واقعاً لديها مع انها وجدت صعوبة بتصديق ذلك.

فعلت كل مابوسعها لمساعدتها، وعندما كانت ديبورا جاهزة للرحيل رأت سلة مليئة بانواع مختلفة من الطعام والتي لاتوجد في لندن. كان من الصعب عليها حمل السلة لكن ديبورا شكرتها وعانقتها وهي تعدها انها ستكتب لها. كانت تتكلم بصوت مليء بالفرح يخفي حزنها وخوفها.

جلست في القطار، وهي تشعر بالوحدة القاتلة كان بامكانها ان تشعر بالراحة والفرح لو سمعت تروتي تتكلم مع السيد جيمس على الهاتف، وهي تصف له رحيلها، وتشرح له عن الغرفة التي استأجرتها عند صديقتها القديمة وعن أمل ديبورا بالحصول على عمل في مكتب بعد مرور عدة اشهر. كانت تروتي تأمل ان يعبر عن شيء من عاطفته، لكنه لم يفعل. شكرها على المعلومات،وقالت انه يتمنى ان تتوفق ديبورا وتجد عملاً جيداً لها واقفل الهاتف.

العنوان الذي اعطته اياه الانسة تروتي بالقرب من لندن بريدج. قاوم كثيراً رغبته بالذهاب الى هناك. فلم تكن المنطقة توحي له ان بامكان ديبورا العيش فيها. فهي منطقة بعيدة عن الريف والهواء المنعش.

كان قد اتخذ قراره ان يبقى بعيداً عنها واعطائها فرصة لتعيش حياتها. فتجاهل مايطلبه قلبه واخذ يشغل نفسه بعمله وعندما تلقى طلباً عاجلاً في الذهاب الى جزر اليونان لمعالجة مريض قديم لديه، وافق على الفور. عندما اتصل بتروتي غضبت منه، لكنها كانت حكيمة جداً لتقول له انها تتمنى ان لايغيب طويلاً وتنتظر منه ان يتصل بها ليسأل عن

ديبورا. وهذا مافعله بصوت عادي لكنه لم يستطع خداعها بهدوئه المصطنع.

قالت:«لقد تلقيت رسالة مطولة منها. يبدو انها استقرت بشكل جيد، يبدو انه عمل صعب جداً لكنها تحبه.»

قال بصوت عادي:«خبر رائع.»

كانت رسائل ديبورا لتروتي مفرحة، وتصور لها صوُرة غير حقيقية وصادقة. فالغرفة المريحة التي وصفتها لها بالتفصيل كانت غرفة خلفية في منزل صديقة تروتي، مليئة بالتلوث من محطة قطار قريبة. وتشرف على حديقة مليئة بالاوراق والمهملات. اما الشيء الحقيقي الوحيد، فهو السرير المريح لكن طاولة المكياج، وضعت بجانب الحائط كي لاتقع كذلك باب الخزانة مخلوع، كانت الغرفة مع كل ذلك نظيفة كذلك اغطية السرير وكان بامكان ديبورا استعمال غرفة الجلوس اذا ارادت. كانت السيدة سكيورز لطيفة وودودة، متقدمة في السن، لذلك لاتهتم كثيراً بنظافة منزلها. لكنها كانت تحب كثيراً التحدث عن صديقتها الانسة تروتي. تفاجأت ديبورا من انهما صديقتان بالرغم من انهما لايتشابهان بشيء.

كانت السيدة سكيورز تتأخر في النهوض لذلك كانت ديبورا تنهض باكراً تتناول فطورها وتستقل الباص لتذهب الى المعهد. كانت تذهب مع تلاميذ الى مقهى قريب لتتناول القهوة والفطائر وفي المساء كانت السيدة سكيورز تعد العشاء لهما معاً. اخبرت ديبورا، انها كانت طاهية جيدة عندما كانت شابة لكنها الان تعتمد على الطعام المعلب والمثلج، لكن ديبورا، كانت تأتي متعبة

لدرجة انها تأكل اي شيء يقدم لها وهي ممتنة لأنه طعام ساخن.

كانت الحياة مملة ومتعبة بعد الهدوء والسلام اللذين كانت تشعر بهما في كوخ تروتي، لكن هذا ماالختارته. رغم كل ذلك كانت تشعر بالوحدة، مع ان عدداً من التلميذات كنّ صديقات لها، على الرغم انها لاتخرج معهن الى السينما او الى النادي لعدم توفر المال لديها. لذلك كان تمضي فترة المساء تتمرن على الاختزال، مهارة كانت تشك ان تكتسبها يوماً، وتساعد السيدة سكيورز في تنظيف اوعية العشاء.

بعد عدة ايام تعرفت على هرة السيدة سكيوزر التي كانت تدخل الى المطبخ باحثة عن الطعام. كانت السيدة تطردها على الفور وتقول:«تستطيع الهرر ان تهتم بنفسها، لقد كان هراً جميلاً، لكنه مزعج جداً الان. اريد ان اتخلص منه.»

سألت ديبورا:«هل تمانعين ان احتفظت به؟ سأحضر له الطعام واهتم به سيكون لي صديقاً بينما ادرس في غرفتي عند المساء.»

«حسناً، لااعرف... اعتقد انه يمكنك.فلما لا؟ لكن المهم ان لايمر امامي او بين قدمي.»

«هل لديه اسم؟»

«باستر، لكنه لايرد دائماً عندما اناديه.»

نظرت ديبورا الى الحيوان الصغير،ورأته ينتظر بصبر اي فتات، وتساءلت متى ناداه احد باسمه، او تكلم معه. خرجت على الفور الى متجر صغير قريب من المنزل واشترت طعاماً للهررة وحليب مجفف وعلبة من البسكويت، حملت الاغراض وعادت الى منزل السيدة سكيورز. كانت

السيدة قد غادرت، لذلك وجدت ديبورا نفسها حرة لتطعم الهر. بينما كان يلتهم عشاءه، كانت ديبورا تبحث عن صندوق. غلفته باوراق الجرائد لأنها لم تجد شيئاً آخر واخذته الى غرفتها. وفجأة دخل باستر وقفز الى داخل الصندوق، جلس ينظف وبره بينما اخذت ديبورا تنظر من النافذة. كان هناك فتحة صغيرة في سقفها، ولم يكن هناك من سبب يمنعه ليدخل ويخرج وهكذا لن تراه السيدة سيكورز، تركت النافذة مفتوحة على مصراعيها وجلست امام الطاولة تدرس درس الاختزال بينما اخذ الهر يصدر اصواتاً تنم من فرحه.

ستتأخر السيدة سكيورز في عودتها لذلك نزلت الى الطابق الارضي لتشرب الشاي وتحضر كل شيء لفطور الصباح. نزل باستر معها فأخرجته الى الحديقة خلف المنزل بينما كانت تشرب الشاي وتنظف الفنجان. نادته فلم يحضر فأغلقت الباب وعادت الى غرفتها لتنام، وجدته امام نافذة غرفتها ينظف شاربيه، وكأنه في منزله.

قالت ديبورا:«هر ذكي.» وقدمت له قطعة من البسكويت التي احضرتها له. صعدت الى السرير وتركت نافذتها مفتوحة كي يدخل ويخرج على هواه. لكن لم يكن هناك من حاجة لذلك فما ان استلقت في السرير حتى زحف لينام تحت قدميها. نامت وهي تسمع صوته وتشعر بالراحة من دفء جسمه الصغير.

لم تعد الحياة مملة كما في السابق. اصبح لديها باستر لتطعمه وتكلمه وكان يتجاوب بسرعة الى طرقها اللطيفة وصوتها الناعم، اصبح ممتلىء الجسم قليلاً وطالما هو

بعيد عن نظر السيدة سيكورز فقد نسيته تماماً. كتبت ديبورا لتروتي لتخبرها عن الهر وضخمت لها اعمال يومها لتبدو مشوقة ومهمة. كل مرة كانت تكتب كانت تتمنى لو تستطيع السؤال عن السيد جيمس لكنها لم تفعل، متمنية لو ان تروتي تكتب عنه... غير انها لم تفعل ذلك ولا مرة. كان السيد جيمس يسأل من فترة لفترة ان كانت قد سمعت عن ديبورا وتخبره عما تقرأه في الرسائل بدون اي تعليق وكل مرة كان يقول:«اه، رائع.» بدون ان يعني ذلك.

فقدت ديبورا لون الزهر من خديها، والوزن الخفيف الذي زادته من طعام تروتي الشهي. كانت تعمل كثيراً وتجد ان مادة الاختزال صعبة معها ان اصبحت تجيد الطباعة، لكنها لاتزال تطبع ببطء وليس هناك من وسيلة لتتمرن بين الدروس. اما بالنسبة الى اللغة، فقد قالت لها معلمتها انها تشك في نجاحها.

بقيت ديبورا في الصف بعد رحيل التلامذة لتسأل بعض الاسئلة عن الاختزال قالت لها المعلمة:«انت تعملين بجهد، وهذا مااعترف به، لكنك لست من نوع الذي يجيد هذه الاعمال. هناك فتيات يذهبن الى عمل جيد من هنا بعد مرور عدة اشهر. لكن معظمهن يعرفن بالكمبيوتر ايضاً.»

وضعت ديبورا كتبها وجلست على احدى المقاعد وقالت:«تقصدين انني لاامك الاهلية الكافية لأعمل؟»

«لا،لا، اذا تمكنت من الاسراع قليلاً في الطباعة وتعرفت الى اصول الاختزال ستجدين عملاً كمضيفة في اماكن عدة او كسكرتيرة، لكن ليس هناك مستقبل في كلتا الوظيفتين.»

«علّي ان اعمل لأعيش في أقرب وقت ممكن.»

«نعم، حسناً، لنرى كيف ستصبحين بعد مرور اسبوعين او اكثر.»

رددت هذا النقاش على مسامع باستر عند المساء، وهي مستلقية في سريرها، غير قادرة على النوم لأن جيرانها كانوا يحتفلون واصوات الموسيقى العالية تملأ ارجاء الحي. لم يكن باستر يهتم للضجة او للاصوات العالية، زحف قربها ونام على كتفها مدت يدها واخذت تمسح رأسه. كان قد تحول الى هر جميل ولطيف. وهي تشعر بالراحة الكبيرة معه لأنه لايوجد احد غيره تتكلم معه لذلك اخبرته... عن مودي وتروتي وعن بليوم والعم اوسكار والسيدة فرنون وبالتأكيد عن السيد جيمس، قالت: «لو كنت اتمكن من رؤيته ولو لمرة، باستر، عندها ربما استطيع ان انساه.»

اخذت تدرس اكثر من السابق، لان الامتحانات اصبحت في غضون اسبوعين فقط، واذا لم تنجح بهم فهذا سيجبرها على اعادة الامتحان بعد عدة اسابيع ولن تجد المال الكافي للبقاء في المدرسة. لقد تبخر معظم المال لديها لكن ما ان تأخذ شهادتها حتى تقبل بأول عمل يعرض عليها.

كانت الامتحانات اصعب بكثير مما توقعت، فكرت انها لن تنجح في امتحان الاختزال، كذلك لم تتمكن من انهاء طبع كل ماطلب منها في الوقت المناسب. اما امتحان اللغة فلم تتقدم اليه لأنها ضعيفة جداً فيه. على الرغم من كل هذا ذهبت الى سريرها عند المساء وهي تأمل بالنجاح، فشهادة بالطباعة افضل من لاشيء.

كانت النتائج معلقة على لوح في المدرسة عندما وصلت عند الصباح. لقد فشلت في الامتحانين. تلميذات كثيرات

فشلن ايضاً، لكنهن شابات ولا فرق عندهن ان نجحن ام لا. قلن لها بفرح، انهن سيذهبن الى مكان للعاطلين عن العمل «يمكنك الذهاب ايضاً، ماعليك الا ان توقعي على طلب ما... فاذا كان هناك عمل تذهبين وترين ان كان يناسبك، تقبلين به او ترفضينه.»

كان لهن جميعاً عائلات وبيوت يذهبن إليها ومال كاف يعتمدن عليه... شكرت حظها انها قد دفعت الايجار للسيدة سكيورز لاسبوع قادم، وهكذا ستمضي هذه الايام تبحث فيهم عن عمل.

عادت الى البيت الصغير لتجده صامتاً بشكل مذهل. من النادر ان تغادر السيدة سيكورز عند الصباح لكن لادليل على وجودها هنا الان. صعدت ديبورا الى غرفتها لتجد باستر نائماً في صندوقه. فكرت انها لن تجد وقتاً افضل من الان للبحث عن عمل، لذلك اغلقت بابها بهدوء وسارت على مهل لتقف بعد خطوات قليلة كي تستمع. كان باب غرفة السيدة سكيورز مغلقاً لكن الاصوات تصدر من الداخل، اصوات غريبة، شخير قوي بعدها هدوء ثم ذلك الصوت المخيف.

لم تدخل ديبورا مرة غرفة السيدة سكيورز، ترددت للحظة قبل ان تقرع على الباب، كان السيدة لطيفة لكنها لم تشجعها مرة لتبادل الاحاديث اكثر من الكلام المعتاد. لكن مهمايكن فالاصوات داخل الغرفة غريبة جداً...

دقت على الباب ثانية وعندما لم يجب احد، ترددت لكنها دخلت، كانت السيدة ملقاة على الارض، وجهها احمر داكن وعيناها نصف مفتوحتان وتتنفس بصعوبة بالغة.

لم يكن هناك هاتف في المنزل، اسرعت ديبورا الى الدكان القريب واتصلت بالاسعاف، وعادت مسرعة الى المنزل، غطت السيدة بغطاء سميك، ووضعت وسادة تحت رأسها ووجدت حقيبة كبيرة تستعملها السيدة كل يوم. وضعت في داخلها كل مافكرت ان السيدة ستحتاجه في المستشفى، بعدها عادت الى غرفتها لتتأكد ان باستر مازال نائماً، وضعت له الطعام وفتحت له النافذة. لم يبق امامها الا ان ترتدي سترتها وتحمل حقيبة يدها وتغلق النوافذ والباب وتنتظر وصول سيارة الاسعاف.

وصلت السيارة بسرعة قصوى وكان الرجلان بداخلها لطيفان مع السيدة سكيورز ولم يضيعا اي وقت. لم يكن هناك اسرة في المستشفى القريب، هذا ما قالاه لديبورا، لكن على المريضة ان تذهب الى احدى المستشفيات الكبيرة لتدريس الطب وسألاها ان كانت ستحضر معهما؟

راقبتهما يضعان السيدة في السيارة، اقفلت الباب وصعدت معهما. كانت السيدة تزداد اختناقاً كلما مرّ الوقت، فكرت ديبورا، انه يوم سيء لها وللسيدة سيكورز.

كانت المسافة طويلة عبر المدينة، سألت ديبورا:«هل ستصبح بخير؟» وهي تراقب الممرض يستعمل كل ما لديه من قدرات ليؤمن الراحة للسيدة المريضة.

هز كتفيه وقال:«لايمكنني قول اي شيء، آنسة، انها نوبة قلبية، علينا ان ننتظر ونرى ماالذي سيقوله الاطباء.»

لحقت بالمريضة داخل المستشفى وذهبت الى مكتب الاستقبال لتجيب عن الاسئلة المعهودة بعدها جلست في الزاوية القريبة من الغرفة حيث دخلت السيدة سكيورز. كان

هناك العديد من الناس تدخل وتخرج. كان المكان مليء بالمرضى ولقد مرّ اكثر من خمس دقائق قبل ان يصل طبيباً شاباً، ويرافقه بعد قليل رجل اكبر منه. بسرعة خرجت الممرضة، قالت شيئا ما واختفت. نظرت ديبورا الى الساعة، لم تعرف الوقت بالتحديد، فهي تمر بكابوس مخيف ولاتستطيع التفكير بمنطق. لقد فعلت كل مابوسعها والان لاتدري ماهو المطلوب منها. لم تكن تعلم اذا كان للسيدة اي عائلة، هذا ماقالته لموظفة الاستقبال التي طلبت منها ان تحاول لتجد من يعرفها في اقرب فرصة ممكنة، لكن الان وجدت افضل ماتقوم به هو ان تبقى في مكانها.

عادت الممرضة بسرعة لتختفي وراء الستائر ثانية اخذت ديبورا تراقب الناس من حولها. لابد انها حياة مثيرة للاهتمام، العمل في المستشفى، لكن لابد من وجود مستوى تعليمي والمرور في امتحانات قاسية جداً. نظرت بعيداً عن الناس المنتظرة بجانبها ورأت احدى الممرضات تسير باتجاهها. كان هناك رجل ما معها... انه السيد جيمس.

رآها ما ان اقترب منها اكثر لكنه لم يتوقف عن السير، دخل بسرعة وراء الستارة مع الممرضة ومرّ وقت طويل قبل ان يخرج، هذه المرة خرج معه الرجلين السابقين والممرضة تتكلم.

فكرت ديبورا انه للحظة ما سيتوقف ويتكلم معها، لكن ماان توقف حتى حمل الهاتف من جيب معطفه الابيض الطويل واخذ يصغي باهتمام، تحدث بكلمة الى الرجل العجوز وغادر الجميع. كانت ستشعر بحالة افضل لو سمعته وهو يسأل الممرضة:«من الذي حضر مع السيدة؟»

«ليست قريبتها... بل امرأة تسكن عندها، ولاتعلم شيئاً عنها، لسوء الحظ.»

كان السيد جيمس سيستقل المصعد عندما قال:«قولي لأحد ان يطلب منها الانتظار. سأراها على الفور.» وصعد بينما كانت افكاره منشغلة بمريضه التالي.

مرّ وقت طويل قبل ان تعرف ديبورا شيئاً عن حالة السيدة سيكورز لكنها لم ترغب بالرحيل قبل ان تقول لها الممرضة ان حالة السيدة قلقة جداً وان عليها الرحيل والاتصال عند المساء. فقالت:«سأسأل الجيران وان علمت ان لديها اقارب سأتصل بك، تريدين ذلك؟»

ذهبت لتلقي نظرة على السيدة سكيورز قبل ان تغادر، كانت مستلقية بهدوء في سريرها.

كانت في طريقها للخروج عندما نادتها موظفة الاستقبال قائلة:«هناك رسالة لك من السيد جيمس مارلو، عليك الانتظار هنا، يريد ان يراك.»

شكرتها ديبورا بلطف وخرجت من الباب قبل ان يوقفها احد ما. لقد كان امر سيء رؤيته بصورة غير متوقعة والاسوء انه نظر اليها وكأنها غير موجودة هناك. فهي لاتريد ان تراه مطلقاً. في الوقت الذي وصلت فيه الى الباص كانت تشعر بالغضب الشديد، وهذا خير لها، لأن ذلك منعها من التفكير بكل الامور السيئة التي تعرضت لها في هذا اليوم المخيف.

الفصل التاسع

مرّ وقت قصير على مغادرة ديبورا للمستشفى عندما عاد السيدجيمس كان المكان لايزال مليئاً بالناس لكن موظفة الاستقبال قالت له:«لقد نقلت للسيدة الشابة رسالتك، سيدي، لكنها خرجت بدون ان تقول اية كلمة.»

شعرت انها ستموت من الحشرية ورغبت ان تسأله لكن نظرة عينيه منعتها.

قالت بعد قليل لصديقتها:«انه دائماً لطيف وذات اخلاق هادئة وجميلة كما تعلمين، لكنه نظر اليّ وكأنه سيدق عنقي. لم تكن غلطتي ان تلك الفتاة قد غادرت. اليس كذلك؟»

وافقتها الموظفة الثانية وقالت انها تتمنى ان لايعود عندما تكون في عملها. وتابعت:«اتعلمين، كنت دائماً احلم به... سيارته الجميلة وهو ثري جداً... لابد انه...»

قرر السيد جيمس بسرعة ان عليه مغادرة المستشفى واللحاق بديبورا فعاد الى غرفة السيدة سكيورز وقابل الطبيب المسؤول، الذي كان يبذل جهداً، لكنها كانت تموت، حاول مساعدته لكن لامجال لذلك، صعد الى سيارته وقاد الى الضاحية الصغيرة قرب لندن بريدج.

وصول سيارة رائعة الى ذلك الحي امر مثير لكن ديبورا لم تسمع شيئاً. ان المنزل بارد وموحش عندما عادت، وبما ان الوقت اصبح بعد الظهر، وضعت الابريق لتعد الشاي، اطعمت باستر وشربت الشاي قبل ان تخرج الى المحل

المجاور لتسأل عن اقارب للسيدة سكيورز. قيل لها، ان لديها اخ يعيش في شور دتش ويدعى وايت مور، واذا سألت الجيران سيعطونها العنوان.

شعرت بالدهشة من مساعدة كل شخص لها. عدة جيران اعطوها معلومات كافية كما ان رجلا شاب يعيش في آخر الشارع عرض عليها ان يذهب ويبحث عن السيد وايت مور، سيسرع ويحضره ليكون بجانب السيدة سيكورز في وقت قريب جداً.

شكرت ديبورا الجميع وعادت الى المنزل وبدأت بتحضير سرير السيدة سكيورز. لم تكن تعلم ماالذي سيحدث لكن من الافضل ان تغير الاغطية وتغسلها. مسحت الغبار ونظفت المكان لتجد ان الرجل الشاب قد عاد مع السيد وايت مور. كان ضعيفاً حزين الوجه، قبل تناول الشاي بامتنان وهي تخبره عما حدث.

قال:«من الافضل ان اذهب الى المستشفى، لااقارب لديها غيري. ماالذي سيحدث لها؟»

قالت ديبورا بلطف:«لااعرف، ستبقى هناك لتصبح افضل وربما بعدها ستذهب الى مأوى للعجائز او شيئاً من هذا القبيل؟ هل هذا المنزل لها؟»

«نعم، تركه زوجها لها، وسيصبح لي بعد وفاتها.» انهى تناول الشاي بينما كانت تشرح له انها تسكن هنا وستغادر عند نهاية الاسبوع.» وهكذا سيصبح المنزل خالياً، لكنني سأترك المفاتيح عند الجيران وأتأكد انه نظيف ومرتب.»

شعر بالفرح فجأة، وقال:«حسناً، أعتقد لاشيء يمنعني من العيش هنا، وهكذا يبقى المكان مأهولا

لنعود اليه.» نهض قبل ان يتابع: سأغادر الان، وسأعود عند الصباح وبذلك نتمكن من انهاء الوضع.»

غسلت ديبورا الفناجين بعد ان غادر. لم تكن السيدة سكيورز سيدة بيت لائقة، اوربما فقدت الرغبة بالاهتمام. كان المطبخ بحاجة الى غسل بأكمله. كانت تشعر بالفرح عندما تعمل، ومهما كان العمل صعباً، لاتستطيع منع نفسها من التفكير. طرق خفيف على الباب جعلها تبعد رأسها من داخل خزانة المطبخ؟

قد تكون احدى الجيران تدعوها الى العشاء، لقد تأثرت جداً من كل المساعدات التي عرضت عليها.

لم تحاول ان تنزع المريول الذي ترتديه. الكل يعلم انها تهتم بأمر المنزل الان كما ان جميع النساء هنا يرتدين المريول لمعظم اوقات النهار.

فتحت الباب فدخل السيد جيمس ومن شدة خيبة أملها انفجرت بالدموع لمجرد رؤيته ورمت بنفسها متعلقة بمعطفه.

لم يقل شيئاً، لكنه تركها تبكي، وعندما ارتاحت قليلاً رفع ذراعه عنها وقدم لها محرمة ناعمة وجميلة. لتمسح دموعها.

كان صوتها لايزال خشناً من دموعها قالت:«انني اسفة حقاً، لكنه كان يوماً موحشاً حقاً.»

وقف في القاعة الصغيرة، يراقبها بعدها قال:«لما لم تنتظرينني، ديبوار؟»

نظرت اليه غاضبة وقالت:«نظرت الي وكأنك... وكأنك...» خانتها الكلمات فحاولت ان تقول شيئاً

آخر:«كلما التقينا اكون في مأزق كبير وانت دائماً تكون هناك لابد انك سئمت من مساعدتي...»

تنفست بعمق، مدركة أنها لم تشرح له كفاية، تابعت:«لقد حاولت، حقاً فعلت ذلك، لابقى بعيدة عن طريقك.» تذكرت فجأة كم كان يومها سيئاً فلم تقل المزيد كي لاتبكي ثانية.

يبدو ان ليس هناك شيئاً يقوله، فسألت:«هل ستصبح السيدة سكيورز بخير؟»

«لقد توفيت بعد رحيلك بقليل، ليس هناك من شيء استطعنا فعله.»

قالت بصوت ضعيف:«لقد كانت لطيفة جداً، ستحزن تروتي عليها...»

سأل السيد جيمس بصوت يسحر العصافير على الاشجار:«ماالامر السيء الآخر الذي حصل معك هذا النهار؟»

لم تكن ترغب باخباره، لكن الكلام تلعثم على لسانها وهي تقول:«لقد فشلت في امتحاناتي... كنت اتعلم الاختزال والطباعة، كما تعلم واعتقدت انني اذا حصلت على شهادة بذلك استطيع الحصول على عمل والانتقال الى مكان آخر.»

فكر السيد جيمس بفرح خفيف، فهي لاتبدو على الاطلاق فتاة اعمال، ذلك الشعر الاحمر، والمريول الفضفاض، والانف الاحمر والعينان المتعبتان من البكاء. قال بصوت لطيف:«حسناً، يمكنك ان تفكري بذلك عند الصباح، ستذهبين معي الى المنزل الان، ديبورا.»

«الى المنزل معك؟ بالطبع لن افعل. انني اعمل على تنظيف المنزل كما وانني لااستطيع ترك باستر.» رفع حاجبيه متسائلاً فقالت على الفور:«لااستطيع تركه

مطلقاً...»انتهت، وهي تذكر نفسها، انه كلما اسرع في الابتعاد عنها نهائياً كلما كان هذا افضل لها.

كان السيد جيمس معتاداً على اللطف والاهتمام بمن حوله لكن تحت شخصيته الهادئة تلك كان هناك تصميم قوي ليصل الى مايريده. قال:«ستفعلين كما اقول لك، ديبورا. اصعدي واحضري حقيبة لك لليلة واحدة وابحثي عن الهر ايضاً. سأعيدك عند الصباح لأنك لن تنامي بمفردك هنا الليلة.»

فتحت فمها لتقول:«لن افعل.» لكنها نظرت الى عينيه فقررت ان لا تتكلم. سارت باتجاه الدرج وقالت:«حسناً، لابأس، لكن السيد وايت مور سيحضر عند الصباح... انه شقيق السيدة سكيورز، لقد ذهب الى المستشفى...»

«ستكونين هنا عندما يصل وهكذا ستفعلين ماترينه مناسباً.»

حضرت حقيبة صغيرة وحملت باستر النائم في صندوقه ونزلت الى القاعة الصغيرة. كان السيد جيمس يقف في المكان الذي تركته فيه لكن كانت النوافذ والباب مغلقة. كذلك الانوار مطفأة والسطل الذي كانت تنظف فيه بجانب الخزانة قد فرغ من الماء الملوثة ووضع في المغسلة.

أخذ الحقيبة من يدها، نظر الى باستر وفتح باب السيارة لها لتضع الصندوق على المقعد الخلفي. بعدها اغلق الباب، وساعدها على الدخول الى مقعدها، طلب منها البقاء مكانها وقرع على الباب المجاور للمنزل. كان هناك عدد من الوجوه تنظر من عدة نوافذ، وصلت الجارة واخذت تصغي بينما كان السيد جيمس يتحدث لم تكن ديبورا تعلم ماالذي

يقوله لكن الجارة كانت تهز رأسها ايجابياً وتبتسم بعدها لوحت لها قبل ان يصعد السيد جيمس الى السيارة.

اقترب منها وثبت حزام الامان لها، سألها:«هل تناولت الشاي؟» وعندما هزت رأسها، قال:«الفطور؟» تمتمت بشيء ما فقال:«انني متأكد ان السيدة دوبس، مدبرة منزلي، قد اعدت شيئا لذيذاً لنا.»

ابتسم لها بلطف فشعرت ان عليها ان تشد على اسنانها كي لاتبكي ثانية، لكن ماان انطلق بالسيارة وتمكنت من النظر امامها حتى سمحت لدموعها بالانهمار على خديها. كان الظلام قد حل مع ان الشوارع جميعها مضاءة ادارت وجهها ونظرت الى الخارج من النافذة، غير مهتمة الى اين سيصلان.

سارت السيارة ولمدة عشرين دقيقة او اكثر ومع الوقت اصبحت تشعر بالراحة اكثر. كانت لاتزال تنظر من النافذة،عندما مسحت دموعها واستدارت لتنظر امامها.

قال بفرح:«تشعرين انك افضل؟ البكاء مريح احياناً.» لم ينظر اليها بل تابع:«نكاد ان نصل.»

اصبحا الان في شوارع خاصة وانيقة جداً وعندما سار بطريق ضيقة جانبية ليقف امام منزل انيق قالت وهي تحاول ان تكون مهذبة:«انه مكان جميل جداً...»

وافق ببساطة، مقدما لها معلومات انه مناسب جداً لعمله، خرج من السيارة وفتح لها الباب وحمل صندوق باستر. كان باستر منزعجاً وخائفاً قليلاً. فلقد ربطت ديبورا منشفة صغيرة على صندوقه لتبقيه بأمان وهذا مالم يعجبه. اخذت الصندوق من السيد جيمس وتبعته عبر الممر وصعدت معه

عدة دراجات لتصل الى الباب الامامي، الذي فتح ماان وصلا من قبل دوبس الذي تمنى لسيده مساء سعيداً. عرفه السيد على ديبورا، فاحنى رأسه باحترام كامل وهو مهتم بكل التفاصيل الصغيرة في مظهرها وهو يفعل ذلك.

«اطلب من السيدة دوبس ان تحضر؟ الانسة ايفرت تريد ان تهتم بمظهرها قليلاً. ستمضي الليلة هنا لذلك ارسل احداً ليجهز لها غرفة، يمكنك ذلك؟» نظر الى الصندوق بين يديها والذي كان يتحرك بقوة. تابع:« لقد احضرنا هراً معنا... ديبورا،ماذا تعتقدين انه افضل شيء نفعله لباستر؟»

قالت:«ان كنت لاتمانع ان تهتم به قليلاً بينما ارتب شعري... يمكنه البقاء بصندوقه... انه معتاد علَي واعتقد انه سيهدأ عندما اجلس، لكن اين بليوم؟»

سأل السيد جيمس دوبس:«نائم؟»

«انه في الحديقة، سيدي.»

«حسناً، دعه يدخل.»نظر الى ديبورا وقال:«اذهبي، سأهتم بباستر.»

فعلت كل ماتستطيعه لوجهها الحزين وشعرها غير النظيف، كان عليها الاعتراف انه امر مريح ان تجد من يخبرك ماالذي عليك فعله، وضعت بعض المساحيق على وجهها ومشطت شعرها وتمنت من كل قلبها لو كانت جميلة وان ما ان يراها السيدجيمس حتى يقع في حبها.

وهذا ماحدث بالفعل، لو كانت تعلم، فما ان دخلت الى القاعة، حتى قال انه يراها دائماً جميلة لكنه يشعر الان بحب اعمق نحوها. قال بتردد وهو يمسك بالباب:«الى هنا.»فتح لها الباب واسعاً فدخلت الى غرفة الجلوس. كانت غرفة

مريحة وانيقة، فرشت بمقاعد مريحة وصوفا كبيرة بجانب النار وخلفها طاولة جميلة. رأت مصابيح عدة على طاولات صغيرة بين المقاعد وخزانة للكتب من الخشب الفاخر. كان باستر يجلس على الكنبة بينما بليوم يجلس بالقرب من النار.

«اه... هل هو بأمان هناك؟»

«طلبت من بليوم ان يجلس... وهو كلب مطيع كما وانه معتاد على هرر السيدة دوبس ومودي لتروتي. تعالي واجلسي. هل تريدين شراب ما؟ عصير فاكهة؟»

وضع الكوب بجانبها على طاولة صغيرة وجلس امامها وهو يحمل كوبه.«كم مضى لديك من الوقت مع السيدة سكيورز؟ قلت انها صديقة لتروتي.»

لم تكن ديبورا تعلم انه يعرف تماماً كم لها هناك... وانه يتلقى اخبارها دائماً من تروتي... اخذت تشرح له، لكنها لم تحسن التعبير، فهي متعبة وحزينة، ومضطربة مع كل تلك المشاعر التي تكنها له وهو جالس هناك، امامها، لايفصله عنها الابضع خطوات، قريب جداً ومع ذلك بعيد الى اقصى حد...

تلعثمت وتوقفت عن الكلام راقب ذلك بوضوح لكن الظروف ساعدتها للتخلص من هذا الموقف الحرج. دخل دوبس ليخبرهما ان العشاء اصبح جاهزاً اذا رغب السيد جيمس.

عندما وصلت الى الباب استدارت ديبورا ونظرت الى باستر، قالت:«لاتمانع ان تركته هنا؟ لن يؤذيه بليوم كما وأنه قد يكسر شيئاً.»

قال السيد جيمس وهو يمسك بذراعها ليدخلها الى غرفة الطعام:«سندعهما يتعودان على بعضهما البعض.»

كان دوبس دائماً يفتخر بنفسه بسبب اناقته في ترتيب الطاولة عندما يكون سيده بمفرده، والان وضع غطاء مطرزاً على الطاولة مع الاواني الفضية والكريستال والطقم الصيني الذي اعد لحفلات العشاء كما انه وضع وعاء للورد الزهري اللون في وسط الطاولة. كان يبدو صارماً كالعادة لكن في المطبخ قال لزوجته انه يشعر بقصة غرامية في الاجواء وفرح عندما سمعها تقول:«فتاة شابة وجميلة، هادئة جداً، اعتقد انها رائعة، كما ان عينيها رائعتان.»

ادركت ديبورا ماان جلست الى المائدة انها تتضور جوعاً. فقد تناولت فطورها عند الصباح بسرعة لتصل الى المدرسة باكراً ونسيت ان تتناول الغداء. كان حساء الهليون الذي اعدته السيدة دوبس مع الصلصة البيضاء افضل ماتذوقته منذ فترة طويلة جداً، او هذا مافكرت به حتى تذوقت البط مع عصير الليمون والعسل، بعد ذلك تناولت الحلوى التي كانت تذوب ماان تضعها في فمها. عادا الى غرفة الجلوس، حيث وضع دوبس صينية القهوة. توقفت ديبورا في منتصف الطريق لتقول:«باستر... لقد رحل؟»

وضع يده على ذراعها وقال:«انظري.»

كان باستر وبليوم يجلسان بجانب بعضهماولاينظران الى بعضهما، بل يحدقان بالنار، لكن عندما جلست ديبورا على كرسيها ثانية زحف باستر الى حضنها وبقي هناك. بعد مرور ساعة على احاديث عادية ولم يتطرقا ابداً الى وضع ديبورا، اقترح السيد جيمس ان كانت ترغب بالنوم

باكراً قال:«لابد انك متعبة واخشى ان اقول لك ان علينا المغادرة باكراً غداً... لدي عيادة عند الثامنة والنصف واريد ان اعيدك الى منزل السيدة سكيورز اولاً.»

«سأستقل الباص..»

وقع نظره على باستر، يجلس بهدوء في حضنها ومرتاحاً، فقال بهدوء:«لااعتقد ان باستر سيحب ذلك. سنغادر عند الساعة السابعة والنصف الفطور عند الساعة السابعة، سيصعد احداً ليوقظك في الوقت المحدد.»

كانت متعبة جداً وافكارها مشتتة بما ستفعله فقالت بضعف:«حسنا، سيد جيمس، وماذا سأفعل الان بباستر؟»

«يمكنه ان يرافقك اذا رغبت، فلغرفتك شرفة خاصة بها واعتقد ان دوبس اهتم بالامر.»

وقفت وهي تحمل باستر بين ذراعيها:«انت تفكر في كل شيء، شكراً كثيراً على العشاء... وعلى السماح لي بالنوم هنا.»

كان قد نهض ايضاً ليفتح الباب لها، كل الذي قاله:«نامي جيداً، ديبورا.»

• • •

تناول باستر فطوره على الشرفة بينما نزلت لتتناول الفطور مع السيد جيمس. فعلا ذلك في غرفة صغيرة ومريحة خلف غرفة الطعام وبما انه لم يكن هناك الكثير من الوقت فلم يتحدثا غير ان يمررا لبعضهما الزبدة والتوست وابريق القهوة. لقد قال لها الساعة السابعة والنصف وهذا مافعلاه بالضبط. اخذ يقود عبر الشوارع الفارغة ولم يتوقفا ابداً حتى وصلا الى بيت السيدة سكيورز. اخذ مفتاح

المنزل منها فتح الباب، نظر بسرعة حوله وحمل الحقيبة لها.

قالت ديبورا:«المزيد من الشكر لك، واذهب بسرعة كي لاتتأخر. قد سيارتك باهتمام، ايمكنك ذلك؟» وضعت يدها على يده وقالت:«الى اللقاء.»

امسك بيدها ولم يتركها ثم قال:«ستجمعين كل اغراضك. سأكون هنا بعد الساعة السادسة.»

حاولت ان تسحب يدها فشعرت بيده تشد أكثر على يدها فقالت:«لماذا؟»

«اي فتاة انت تسألينني اسئلة وانا لاوقت لدي للأجابة. سأوصلك الى تروتي، بالطبع، ستمكثين هناك حتى نفكر في مستقبلك من جديد.» عندما فتحت فمها لتعترض قال:«لا، لاتعارضي، ليس لدي الوقت.»ابتسم فجأة وتابع:«كوني فتاة عاقلة وافعلي ماطلبته منك.»

«باستر...؟»

«من الطبيعي ان يرافقك باستر.» صعد الى السيارة ولوح لها بيده بصورة عادية. لم يقل له احد من قبل ان يقود سيارته بعناية، لقد بدا له ذلك كحديث زوجة وقد بدت قلقة حقاً. كان عليه ان يتأخر في عيادته لكن ستتمكن آليس من ترتيب الامر. ماان بدأ بالقيادة حتى اخذ ينظم يومه. انه يوم شاق جداً وسيعود متأخراً عندما يرجع من كوخ تروتي كما ان اليوم الذي سيليه سيكون اكثر عملاً. خرج من سيارته في شارع هارلي وصعد الدرج الى العيادة.

كان لايزال الصباح باكراً عندما اغلقت ديبورا باب منزل السيدة سكيورز وضعت المريول ثانية، واخرجت باستر من

صندوقه ووضعت الماء على النار. هناك الكثير من العمل امامها ومن المحتمل ان يطلب السيد وايت مور القهوة عندما يحضر. ملأت السطل وانهت تنظيف خزانة المطبخ قبل ان تنظف المغسلة، نشرت الغسيل في الحديقة الخلفية ونزعت اغطية سريرها. وضعتهم في الغسالة وبدأت بتنظيف غرفة الجلوس، بدا المنزل ومفروشاته تلمع بسبب النظافة. عندما وصل السيد وايت مور خرجت الى الحديقة لتنشر الغسيل المتبقى وتضع القهوة والسكر على طاولة المطبخ النظيفة.

طوال ذلك الوقت كانت دائماً تتوقف عن العمل بسبب الجيران، الذين كانوا يتوافدون ليسألونها ان كانت ترغب بأية مساعدة.

كان السيد وايت مور قد رتب نفسه قليلاً مرتدياً افضل بدلة لديه. وقال لها انه يرغب برؤية محامي اخته: «لينهي كل الامور العالقة.» وانه يستطيع الانتقال الى هنا ساعة يشاء. فالمنزل اصبح له الان.

قالت له: «لقد نظفت المنزل وتركت كل شيء مكانه. سيأتي صديق ليأخذني هذا المساء، هل تمانع ان بقيت هنا لحوالي الساعة السادسة؟»

بدا عليه الارتياح، لأنه كان يتوقع ان تبقى كي تجد مكاناً آخر، قال بسرعة: «يناسبني تماماً، فعلي ان احضر اغراضي وثيابي. اذا لم اعد باكراً هل يمكنك ترك المفتاح عند احد الجيران؟»

«سيقبلون الجيران ذلك، انا متأكدة، هل تريد ان تتجول في المنزل قبل ذهابك؟»

وافق على ذلك، ونظر بحدة الى باستر. قالت ديبورا: «لابأس عليك. باستر سيغادر معي. لقد اعطتني اياه السيدة سكيورز.»

تمتم وهو يرحل: «انا لااحب الهرر اطلاقاً.»

رتبت امتعتها، واطعمت باستر قبل ان تستعمل آخر رغيف خبز وعلبة فاصوليا لديها كغداء.

غسلت وجهها ويديها ومشطت شعرها قبل ان تنظر الى وجهها في المرآة. فهي بحاجة الى مساحيق وكريم للتنظيف وعدد من الاقلام للشفاه حتى تبدو جميلة قليلاً. نظرت الى نفسها، وقررت انها لاتستطيع ان تفعل المزيد. من الافضل لها ان تشرب الشاي.

تجولت حول المنزل تقفل الابواب والنوافذ. وعندما وصلت سيارته الجميلة الى امام الباب كانت تقف امام النافذة في غرفة نومها، راقبته يخرج من السيارة بهدوء ويطرق الباب. كان هادئاً جداً واثقاً من نفسه ولطيف ايضاً... تنهدت بعمق ونزلت لتستقبله.

«هل انت جاهزة؟ انتظري لحظة ريثما احضر سلة لباستر، سيكون مرتاحاً فيها اكثر من ذلك الصندوق.»

عاد يحمل بيده سلة للهرر واسعة يمكنه ان ينام فيها ويأكل في جزء منها. اعترض باستر بشدة، لكنه حمله الى المقعد الخلفي بينما اخذت المفتاح الى الجارة القريبة وودعتها. وضع السيد جيمس الحقائب في صندوق السيارة وفتح لها الباب، فعل كل ذلك بطريقة عادية سببت الألم لها.

فكرت بقلق، قد يكون لديه مايشغله، او ان عليه ان يخسر ارتباط مهم له من اجل ان يوصلها الى تروتي.

سارا معاً لعدة دقائق قبل ان تقول:«اتمنى انني لم اسبب لك الازعاج بيومك هذا...»

«لا،لا، في الواقع لقد مر اليوم على خير مايرام ويناسبني جداً الذهاب الى تروتي الان.»

فكرت قليلاً بما قاله ولم تصل الى جواب مما سمعته، هل حقاً يرغب بزيارة تروتي.

كان السير قد اصبح معقولا وهما يقطعان المسافات الطويلة. جلست صامتة، متمنية ان لاتبعد انتباهه عن سرعة المواصلات حوله. عند احدى الاشارات الضوئية،نظر اليها قائلاً:«هل اقود بعناية كافية ترضيك، ديبورا؟»

«اه، هل تعتقد انني افكر انك لست ماهراً بالقيادة؟ ليس هذا هو الموضوع على الاطلاق... لااحب ان تصاب بأذى...»

تغيرت الاشارة الضوئية فتابع سيره، بقي وجهه هادئاً، لكن عينيه لمعتا بقوة تحت رموشه. للحظة فقط فكر ان عليه الاتصال بمساعده واخباره انه لن يذهب الى المستشفى غداً، لكنه انتظر لفترة طويلة انه يستطيع... بل يجب عليه ان ينتظر ليوم واحد بعد. باستطاعة آليس ان تلغي مواعيده، كلها وتؤجلها ليوم آخر كماان عليه ان يخبر دوبس. تحت وجهه الهادىء كان ينظم يومه كله وبذلك سيحصل على يوم فراغ للذهاب الى كوخ تروتي والتحدث مع ديبورا.

سألت ديبورا فجأة:«اين بليوم؟»

«في المنزل، اعتقدت ان باستر لن يستطيع تحمله وهو مسجون في سلة وكلب يلهث من فوق رأسه.»

«اه، مسكين بليوم. هل ينزعج عندما تتركه؟»

«كثيراً... لكنه يعلم انني سأعود عند المساء.»

لم يسألها غير ان كانت مرتاحة في جلستها.وبعد ملاحظة صغيرة غرقت في الصمت تفكر. قد يكون يفكر بمرضاه، ها قد رحلت من لندن وضواحيها واخذت تسير عبر الطرق السريعة، بدت رحلة قصيرة جداً لها، تراقب يديه القويتين كيف تمسكان بالمقود، كانت ترغب بالنظر الى وجهه لكنها كانت تحدق امامها عوضاً عن ذلك. لم يقل لها كم ستمكث عند تروتي، ربما الوقت الكافي لتجد عملاً جديداً. لا بد ان تفعل ذلك بأسرع مايمكن، فكرت انها امضت الفترة الاخيرة وهي تتنقل من عمل الى آخر وبطريقة ماتجده بانتظارها. ولنقل الحق، هذا من سوء حظه هذا ماقالته لنفسها، وعلقت بفرح انهما يكادا ان يصلا.

رحبت تروتي بهما كثيراً، وقبلت بوجود باستر الذي كان في مزاج سيء وعندما اخذ السيد جيمس الحقائب الى الطابق العلوي قال لها انه سيغادر على الفور فطلبت منه ان يجلس ويشرب فنجاناً من القهوة. هذا ماطلبته من ديبورا ايضاً التي اطلقت باستر ووضعت له بعض الطعام ليأكل.

قالت تروتي:«ضعيفة، وشاحبة هذا ماتبدين عليه، ياديبورا. الهواء المنعش والطعام الشهي، هذا ماانت بحاجة اليه. ستخبريني كل شيء عن السيدة سكيورز. عليّ القول انني صدمت حقاً.»

وقفت تهتم بهما بينما كانا يشربان القهوة وذهبت الى الباب تودع السيد جيمس. نهض ببطء، طالباً من ديبورا ان تبقى حيث هي وان تفعل ماتقوله لها تروتي وعاد الى سيارته. خرجت تروتي معه، لتعود بعد قليل وهي تبدو

كالبلهاء قليلاً. لكن ديبورا لم تلاحظ شيئاً فقد كانت تفكر بالسيد جيمس. لم يودعها حتى، ومن المؤكد انه لم يسمع حديثها المنمق وهي تشكره، لديه هذه العادة المخيفة ان يذهب فجأة، ويتركها تشعر وكأنها فقدت احدى اطرافها.

نظرت الى تروتي بوجه حزين وقالت:«لااجيد القيام بشيء، تروتي. وهو دائماً يظهر عندما تسوء اموري ولقد اصبحت مزعجة له بشكل لا يصدق. انا لااشعر بالاسى على نفسي لكنني لااعتقد ان لدي القدرة عن الابتعاد عنه.» تنهدت بعمق وقالت:«لكنني سأفعل، سأحصل على عمل جديد بسرعة قصوى وسأوفر بعض المال لأتعلم دورة جديدة في الطباعة.»

قالت تروتي بشكل عادي:«رائع، لكن ستمضين يومين هنا اولاً ليس بالأمر الجيد ان تقبلي بأول عرض عمل عليك، كمانه يمكنك الاستفادة من بعض الراحة ايضاً. كذلك هرك هذا سيصبح اشد جمالاً في هذا الهواء النقي.»

«وماذا عن مودي؟»

«مابك يا طفلتي. ستهتم به جيداً. لقد رحل اولادها كلهم وهكذا ستشعر بالفرح من وجوده.» حملت تروتي الفناجين الى المغسلة وقالت:«لما لاتصعدين الى غرفتك لترتبي ثيابك وتغسلي وجهك، سنتناول العشاء وبعدها تذهبين الى النوم.»

كانت معاملة تروتي لها مريحة ومنعشة. ففعلت ديبورا ماطلب منها، صعدت الى سريرها بعد ان استحمت وتناولت عشاء شهياً. وأبقت باب غرفتك مفتوحاً كي يتمكن باستر من الدخول والخروج ساعة يشاء.

كانت تروتي مستمعة رائعة. وبقيت ديبورا تتكلم معظم اليوم التالي. فهناك الكثير لتخبرها به، السيدة سكيورز ومدرستها وعملها وكيف فشلت في الامتحان ولطف جيرانها، ومع انها حاولت ان لاتتكلم عن السيد جيمس، لكنها بالطبع فعلت.

قدمت لها تروتي مع الطعام الشهي نصيحة جيدة بشأن مستقبلها، لتمضي يوماً او اكثر وبعدها يمكنها الذهاب الى ريدنغ اوهنلي لتجد وكالة جيدة.

في نهاية اليوم التالي سألت ديبورا ببرودة مصطنعه اذا كان السيد جيمس سيحضر ثانية.

ارادت تروتي ان تعرف فقالت:«اتريدين ان أسأله عن ذلك، الان؟ إنه مشغول جداً بمعاينة الناس الفقراء والاشراف على تمريضهم بدون شك.» تكلمت بذكاء، فهي لاترغب بالكذب الااذا اجبرت على ذلك وهكذا اجابت على سؤال ديبورا ولم تخبرها الحقيقة.وتابعت:«مارأيك بالذهاب الى هنلي غداً؟ انها مجرد رحلة لكنك قد تجدين ماتفكرين به.»

وافقت ديبورا بصوت ينم عن الفرح وصعدت الى غرفتها لتنام.

استيقظت باكراً وبما انه لافائدة من الاستلقاء في السرير لتحلم بالسيد جيمس، ارتدت روبها القديم ونزلت الدرج. ستحضر الشاي لها ولتروتي...

كان السيد جيمس يجلس امام طاولة المطبخ، بليوم عند قدميه، وابريق الشاي امامه على الطاولة، ويحمل فنجاناً بيده. نظر اليها ماان دخلت ووقف ليستقبلها قائلاً بصوت عادي:«صباح الخير، ديبورا.»

قالت ديبورا وقد نسيت نفسها تماماً:«جيمس، اه، جيمس، لقد حضرت اخيراً.»

ندمت على ماقالته لحظة تفوهت بكلماتها تلك لكنها لاتستطيع ان تفعل شيئاً الان فعليها ان تخفف من حدة تسرعها فقالت:«ماقصدته انه شيء جميل أن أراك...»

«اه، جيد، اتريدين تناول فنجان من الشاي. لقد اخذت واحداً الى تروتي.»

«لم تمض الليل كله هنا؟»

«لا، لا، لقد وصلت منذ ساعة تقريباً.»دفع كرسي بعيداً عن الطاولة وتابع:« اجلسي هنا، والطاولة بيننا. بليوم، اجلس.»

كان بليوم سعيداً جداً برؤية ديبورا، جلس، فسكب السيد جيمس الشاي، وقدم لها الحليب والسكر وبعدها عاد الى مقعده. يبدو ان الحديث الذي يرغب بقوله معقد ومرهف جداً.

بدأت ديبورا بالتكلم كي تخفف من وقع الصمت بينهما فقالت له انها ستذهب الى هنلي لتجد عملاً لها.

وضع السيد جيمس الفنجان من يده وقال:«لا، لن تفعلي.» ابتسم لها وتابع:« ستذهبين معي الى الكوخ.»

وضعت الفنجان من يدها لأن يديها كانتا ترتجفان بشدة:«لقد كنت لطيفاً جداً، سيد جيمس، لكنني سأذهب الى هنلي...»

«اعتقد ان سبب عنادك هذا يعود الى شعرك الاحمر. اريد ان آخذك الى الكوخ. هل تريدين ان تعرفي لماذا؟»

دفعت شعرها الى وراء كتفيها ونظرت في عينيه وقالت:«نعم.»

«اريد ان اطلب منك ان تتزوجيني، ديبورا، ولسبب ما اريد ان افعل ذلك في منزلي ومن الافضل في الحديقة حيث لايرانا احد.»

اقترب قليلاً وابعد الفنجان ليمسك بيدها وليقبل راحة يدها. قال:«لقد اعطيتك كل فرصة لتدبري نفسك بنفسك لكن الان لم اعد احتمل. وبكل الاحوال، ارى ان العمل الوحيد الذي ستنجحين فيه هو ان تكوني زوجتي، وتتأكدي انني اقود بعناية وانني لن أتأخر عن عملي وترحبين بي عند عودتي مساء مع عدد من الاطفال.»

«لكنني غير مناسبة لك...»

«عزيزتي الغالية، ماهذا الكلام السخيف عن كونك غير مناسبة؟ كنت انتظرك منذ زمن بعيد.انني احبك... وقد احببتك منذ وقت طويل جداً... وانا احبك كثيراً...»

«اه، هل هناك من فرق؟»

«بالطبع هناك.»

«حسناً، اذا كنت لاتمانع انني غير مناسبة لك، احب كثيراً ان اصبح زوجة لك. فأنا احبك ايضاً.»

نهض السيد جيمس ودار حول الطاولة وشدها اليه بقوة:«ماهذا الذي ترتدينه، لكن لابأس به كبداية.» وقبلها. ثم تابع:«عزيزتي الغالية، هل تمانعين ان تزوجنا بأسرع مايمكن، فقط كي احصل على المعاملات المطلوبة؟ عليّ العودة الى لندن هذا المساء لكنك ستبقين في الكوخ حتى عودتي...» قبلها ثانية قبل ان يقول لها:«الان اذهبي وغيري ثيابك وارمي هذا الثوب الشنيع الذي ترتدينه.»

مدت يديها لتطوق عنقه وتقول:«لااستطيع القيام بذلك، فليس لدي غيره.»

«هذا أمر نستطيع تعويضه على الفور. سنشتري ثوباً للنوم لكل ايام الاسبوع.»

قبلته في الوقت الذي دخلت فيه تروتي الى المطبخ وهي تقول:«سأقلي البيض واللحم للفطور. لما لاتغيرين ثيابك، عزيزتي.»

قال السيد جيمس وهو يمسك بديبورا:«سنتزوج، ياتروتي.»

«اخيراً حان الوقت، سأشتري قبعة جديدة...»

قال السيد جيمس:«كل القبعات التي تريدينها، تروتي.» ابتسم لديبورا وقبل جبينها بنعومة ودفعها قليلاً باتجاه الباب وهو يقول بنعومة في أذنها:«فتاتي الجميلة.»

ابتسمت ديبورا، انه أمر غريب لكنها شعرت حقاً انها اجمل امرأة في الوجود...

تمت